رعاية المسنين في الإسلام

تأليف

عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان

رعاية المسنين في الإسلام

إعداد

د. عبد الله بن ناصر السدحان

١٤١٩هـ /١٩٩٩م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

أولاً: تعريف المُسِنّ

المُسِنُّ في اللغة:

استعمل العرب كلمة (المُسِنّ) للدلالة على الرجل الكبير، فتقول: ((أسَنَّ الرجل: كَبُر، وكبرت سِنُّة. يُسنُ إسناناً فهو مسن)) [١]. كما تستخدم العرب ألفاظاً مرادفة للمسن فتقول: (شيخ)، وهو ((من استبانت فيه السَنّ وظهر عليه الشيب)) [٢]، وبعضهم يطلقها على من جاوز الخمسين [٣] وقد تقول (هَرِم)، وهو ((أقصى الكبر)) [٤] وتقول كذلك: (كهل) وجميع هذه الألفاظ تدل على كبر السن.

ونقل عن بعض الحكماء قوله: الأسنان أربعة: سن الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة [٥]. إلا أنه يمكن ترتيب مراحل عمر الإنسان استظهاراً من معاجم اللغة بعد مرحلة المراهقة كالتالي: شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم هَرِم. فكل من تجاوز مرحلة الشباب – وهي إلى الأربعين – فهو مُسِن في اللغة، ونلحظ أن آخر هذه المراحل هي مرحلة الهرم، وهو: الزيادة في كبر السن [٦]، الذي هو أرذل العمر، كما أطلق عليه ابن الجوزي رحمه الله [٧] وهذا هو الذي تعوذ منه الرسول ﷺ في قوله: ((اللهم إني أعوذ بك من العجز

---

١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، جزء ١٣، ص ٢٢٢.

٢) المنجد، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٤١٠.

٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٤١٠هـ، ص ٩٨٣.

٤) لسان العرب، مرجع سابق، جزء ١٢، ص ٦٠٧.

٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، جزء ١١، ص ٢٤٠.

٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، جزء ١١، ص ١٧٨.

٧) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء ٤، ص ٣٥٥. وذكر رحمه الله أنه مقدر من السنين على ثلاثة أقوال: أحدها خمس وسبعين سنة. قاله علي رضي الله عنه، والثاني تسعون سنة. قاله قتادة، والثالث ثمانون سنة. قاله قطرب.

والكسل والجبن والهرم..)) [٨]، كما عدّ الرسول ﴿ﷺ﴾ هذه المرحلة آخر مرحلة قبل الموت، فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً أو هرماً مُفنِّداً أو موتاً مجهزاً..)) [٩]، وروى عبد الله بن الشخير عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ((مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية، إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت)) [١٠].

المُسِن في الاصطلاح:

كثيراً ما يرتبط هذا اللفظ لدى بعض الباحثين في علم الاجتماع بسن معينة وهو سن الستين، فيقال: المُسِنُّ هو: من تجاوز عمره الستين [١١]. ومن المعلوم أن هذه المرحلة نسبية وتتفاوت من فرد لآخر، فبعض من بلغ هذا العمر، أو تجاوزه قد يكون نشيطاً ولا تظهر عليه بوادر السن أو الشيخوخة، والعكس كذلك. فإننا قد نجد من هو دون هذا العمر وقد ضعف واشتعل رأسه شيباً، لذا نستطيع القول: أن العمر التاريخي للإنسان يُعدُّ معياراً

---

٨) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٣، ص ١٠٣٩.

٩) عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٩، ص ١٨٥، وقال الترمذي حديث حسن غريب.

١٠) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٩، ص ٢٨٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

١١) أنظر مثلاً: نحو برامج مواجهة للعمل الاجتماعي مع المسنين، جنان العمري، في (دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي) مكتب المتابعة، البحرين، ١٩٨٥م، ص ٣٥٠. وكذلك: دور طريقة تنظيم المجتمع في إشباع الإحتياجات الاجتماعية للمسنين، منى شويكة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الخدمة الاجتماعية، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص ١٢. وكذلك: برامج رعاية المسنين ودور الخدمة الاجتماعية فيها، أسماء الخميس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤٠٩هـ، ص ١٣. وكذلك: المشاكل التي يعاني منها المسنون في المملكة العربية السعودية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، ثريا عبد الرؤوف جبريل، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، العددان ٣٤-٣٥، السنة ١١، يونيو ١٩٩٢م.

غير دقيق لتحديد مرحلة وصفه بـــ (المُسِنّ)

ومن هنا نجد بعضهم يتخذ أكثر من مقياس لتحديد هذه المرحلة، فيتخـــذ العمـــر الزمني مقياساً يتعامل به مع عدد السنين، والعمر البيولوجي، وهو مقياس وصـــفي يتنـــاول الجوانب العضوية للإنسان، والعمر الاجتماعي، ويتناول فيه الأدوار الاجتماعية التي يمارسها الفرد وعلاقاته بالآخرين، وأخيراً العمر النفسي، ويحدد بالخصائص النفسية والـــتغيرات في سلوك الفرد وحاجاته ودوافعه [١٢]. وعلى ذلك عرّف (أغآ) المُسِنّ بأنه: ((من دخل طور الكبر))، ثم يحدد الكبر بأنه: ((حقيقة بيولوجية تميز التطور الختامي في دورة حياة البشـــر)) [١٣]. كما نجد من يُعَرِّف المرحلة التي يصل إليها المسن تعريفاً وظيفياً، حيث يرى (إسماعيل) أنها: ((حالة يصبح فيها الانحدار في القدرات الوظيفية البدنية والعقلية واضحاً يمكن قياســـه وله آثاره على العمليات التوافقية)) [١٤]. ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية قد عرفتا المسنّ تعريفاً إجرائياً تسهيلاً للتعامل مع هذا المصطلح. وذلك بـــأن حددتاه بمن تجاوز عمره الستين سنة [١٥].

وأياً كان الاختلاف، فمن المؤكد أنه ليس هناك حدّ فاصل واحد نستطيع القـــول عنده أن الإنسان قد أصبح مسناً، خاصة إذا تعاملنا وفق المقاييس السابقة مجتمعة وهي: العمر الزمني، والعمر البيولوجي، والعمر الاجتماعي، والعمر النفسي. ولكننا نستطيع القول بـــأن المُسِنّ هو: ((كل فرد أصبح عاجزاً عن رعاية نفسه وخدمتها، إثر تقدمه في العمر، ولـــيس

---

١٢) المتقاعدون: بعض مشكلاتهم ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، عبد العزيز الغريب، شـــركة مطـــابع نجـــد التجارية، الرياض، ١٤١٦هـــ، ص ٤٩-٥١.

١٣) مشكلات التقدم في السن، كمال أغآ، في (التقدم في السن - دراسة اجتماعية نفسية)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـــ، ص ١٥٧.

١٤) الشيخوخة، عزت إسماعيل، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٣م، ص ١٧.

١٥) الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين، مرجع سابق، ص ١٧٨. وكذلك: نحو برامج مواجهة للعمل الإجتماعي مـــع المسنين، مرجع سابق، ص ٣٥٠.

بسبب إعاقة أو شبهها)). وبهذا نخرج من إشكالية تحديد السَّن الزمني الذي يتفاوت النـــاس فيه.

ثانياً: المتغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة

يصاحب مرحلة الكبر لدى الإنسان ضعف عام، قال تعالى: { اللهُ الَّذي خَلَقَكُم مِن ضَعفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعد ضَعفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ قُوَّةٍ ضَعفاً وَشَيبَةً يَخلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ } [الروم ٥٤] فالإنسان يمر بثلاث مراحل رئيسة: ضعف، ثم قوة، ثم ضعف، ولكن هذا الضعف الأخير نسبي بين البشر عموماً والمؤمنين خصوصاً، وسيتضح ذلك بعد عرضٍ موجز للتغيرات التي تصيب الإنسان في حالة كبره:

التغيرات الجسمية:

تظهر بعض التغيرات المرئية على جسم الإنسان في حالة تقدمه في السنّ مثل: تجعُّد الجلد وجفافه، وثقل في السمع، وضعف في البصر والشم والحواس بشكل عام، وبطء الحركة، وترهل بعض العضلات، وتغير لون الشعر، كما أن هناك تغيرات جسمية غير مرئية مثل ما يحدث من ضعف في العظام، وانخفاض لحرارة الجسم نتيجة لقلة الحركة، إضافة لارتفاع نسبة الإصابة ببعض الأمراض، مثل: ارتفاع ضغط الدم، والسكر، والقبض المزمن، والضعف الجنسي (١٦).

التغيرات الاجتماعية:

أبرز ما تتصف به هذه التغيرات لدى المسنّين تقلُص علاقاتهم الاجتماعية، إذ تقتصر على الأصدقاء القدامى ومن كان يسكن بقربه نظراً لصعوبة تنقلاته بسبب التغيرات الجسمية آنفة الذكر، كما ينتج عن هذا التغير مظهر جديد في حياة المسنّ ألا وهو: الفراغ والعزلة، وذلك نتيجة للانسحاب المتبادل بين المسن والمجتمع الذي يؤدي بدوره إلى ضيق

---

١٦) طب الشيخوخة والمريض المسن، ستيفن وشرودر، ترجمة ماجد العطار، دار القلم العربي، سوريا، ١٤١٣هـ، ص ٦.

الاتصال بالمجتمع، وإلى تدهور المشاركة الاجتماعية لديه[١٧] وهذه المظاهر الجديدة في حياة المسنّ تساعد على بروز التغيرات النفسية التي يلي عرضٌ لها:

التغيرات النفسية والانفعالية:

ترتبط التغيرات النفسية بالتغيرات السابقة بشكل كبير، وإن كان ارتباطها بالتغيرات الاجتماعية يبدو واضحاً بشكل أكبر، وأبرز هذه التغيرات: تغيرٌ مفهوم الفرد عن ذاته، وبروز القلق والاكتئاب والملل كمظهر جديد في حياة المسنّ، كما يصاحب ذلك توهم المرض، وكثرة الشكوى، والحساسية الزائدة، والإعجاب بالماضي، والعناد والشك، وعدم الثقة في الآخرين، كما تتغير اهتمامات المسنّ فتتركز حول الجوانب الشخصية، إضافة إلى أن ((الاهتمامات الدينية تزيد مع التقدم في العمر)) [١٨].

التغيرات العقلية:

من أبرز مظاهر هذه التغيرات لدى المسن، ضعف الذاكرة والنسيان، وبخاصة المعلومات الحديثة، إضافة إلى ظهور خَرفَ الشيخوخة لدى البعض، ويتمثل ذلك في تكرار الحديث مرات ومرات، وعدم التعرف على الأبناء والأقارب، كما تضعف القدرة على الإدراك والتعلم [١٩].

التغيرات الاقتصادية:

عادة ما ينخفض دخل المسنّ وهذا عائد في الغالب إلى إحالته للتقاعد عند بلوغه السن النظامية، وبالتالي يؤدي ذلك إلى عجزه عن تلبية العديد من الحاجيات، وبخاصة إذا

---

١٧) التوافق عند المسنين، هالة العمران، في: (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ١٩٩٢م، ص ٧١.

١٨) المتقاعدون، مرجع سابق، ص ٥٦.

١٩) قضايا الشيخوخة، خالد الطحان، في (التقدم في السن – دراسة اجتماعية نفسية –)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ، ص ١٣٤.

اقترن ذلك بتوقع إصابة المسن ببعض الأمراض وما تحتاجه من زيارات للطبيب وشراء الأدوية، فهو يعاني من انخفاض في الدخل مع تزايد في الأعباء المالية، ويصاحب ذلك الغلاء المتزايد للأسعار وضعف القوة الشرائية للنقود، لذلك نرى بعض الدول تقوم بتعديل معاشات الأفراد المتقاعدين مرة كل سنة، وبعضها مرتين كل سنة، وبعضها مرة كل ثلاثة أشهر (٢٠)، وكل ذلك لمواجهة هذه المتغيرات الاقتصادية في حياة المسنّ [٢١].

ولقد أفاض ابن الجوزي – رحمه الله – في وصف وتحليل مرحلة الشيخوخة وما يصاحبها من التغيرات الجسمية والعقلية منها بخاصة، وكان له بذلك السبق على غيره من العلماء الذين كتبوا عن هذه المرحلة (٢٢).

ولقد وصف أبو العريان،الهيثم بن الأسود النخعي حالة من كبرت سنُّه نثراً وشعراً عندما سأله صاحبه عن حاله، فقال: ((أجدني قد ابيضّ مني ما كنت أحب أن يسودّ، واسودّ مني ما كنت أحب أن يبيضّ، ولآن مني ما كنت أحب أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنت أحب أن يلين، وأجدني يسبقني من بين يديّ، ويدركني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملاء، وأسهر في الخلاء، وإذا قمتُ قربت الأرض مني، وإذا قعدتُ بعدت عني))، ثم أنشد شعراً:

فاسمع انبئك بآيات الكبر
تقارب الخطو وضعف البصر

---

٢٠) رعاية المسنين اجتماعياً، محمد فهمي، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص ١١٩.

٢١) ورد عن الرسول ﷺ قوله ((اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني، وانقطاع عمري)) انظر الحديث في صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، جزء ا، ص ٣٩٦

٢٢) أنظر في ذلك: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ابن الجوزي، تحقيق: عرفه حلمي، دار الحديث، القاهرة. وكذلك: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق علي الطنطاوي،دار الفكر = = دمشق ١٣٩٩هـ، ص ٤٠١،٣١٥،٢٩٠،٢١٩،١٣٩،١١٤. وكذلك: التربية والشيخوخة، دراسة للأبعاد التربوية لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، حسن إبراهيم عبد العال، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، العدد ٤٨، ١٤١٤هـ، ص ١٥-٥٤.

وقلـــــــــــة الطعم إذا الزاد حضـــــر

وكثرة النســـــــيان ما بي مُدّكـــــر

وقلة النـــــــــــــــوم إذا الليل اعتكر

أوله نـــــــــــــــومٌ وثلثاه ســـــــهـــــر

وســـــــعلة تعتادنـــــــــي مع السحر

وتركي الحسناء في حين الطُهـــر

وحـــــــذراً ازداده إلى حـــــــــــذر

والناس يبلون كما يبلى الشجر (٢٣)

وسأل الحجاج رجلاً من بني ليث، قد بلغ سناً كبيرة، قال: كيف طُعمك ؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. قال: فكيف نكاحك ؟ قال: إذا بُذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. قال: كيف نومك ؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. قـــال: كيـــف قيامك وقعودك ؟ قال: إذا أردت الأرض تباعدت منّي، وإذا أردت القيام لـــزمتني. قـــال: كيف مشيتك ؟ قال: تعقلني الشعرة وأعثر بالبعرة.

ولبعض حكماء العرب قصيدة يصف فيها مراحل الإنسان العمرية التي يمر بها وحالته في كل مرحلة من المراحل، يقول فيها (٢٤):

ابنُ عشرٍ من السنين غـــــــــــلام — همه اللعبُ مولع بالحمـــــــــامِ

وابنُ عشرين مولع بالغوانـــــــــــي — لا يبالـــــــــــي ملامـــــــــــة اللـــــــوَّامِ

والذي يبلغ الثلاثين عامـــــــــاً — فضـــــــروب لدى الوغـــــــى بالحـــامِ

فإذا جاوزهـــــا بعشـــــر ســـــــنيـــــن — كان أقوى من كل قـــــرن مُســـــامِ

---

٢٣) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخـــولي، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ١٩٨١م، جزء ٢، ص.ص ٢٢٧-٢٣٢.

٢٤) بهجة المجالس وأنس المجالس، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٢٧ ــ ٢٤٢.

وابن خمسين للنوائب يرجـــــــى ولنقض الأمـــــــــور والإبـــــرامِ

وابن ســـتين حازم الرأي طـــــــبٌّ كامل العقـــل ضـــابط للكـــــــــــلامِ

وابن ســـــبعين قد تولـــــــى وأودى وتثنـــــــــى فمـــا لـــــه مـــــن قـــــــوامِ

والذي يبلغ الثمانيـــــــن عامـــــــاً ذاهـــب الذهـــــن دائـــــــــبُ الأســـــــقامِ

وابـــن تســـــــعين تائـــــــهٌ قـــــد تناهـــــــى إن تســـــــــعين غايـــــــــــة الأعـــــوامِ

فـــإذا جـــازهـــــــا بعشـــــــر فحـــــــي مثلُ ميـــت مـــــودع بالســـــــلامِ

ثالثاً:

موقف الإسلام من التغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة

مما ذكر من المتغيرات تتضح عظمة القرآن ودقة تصويره للحالة التي قد يعيشها الإنسان في هذه المرحلة عندما وصفها الله عز وجل بأنها عودة إلى أرذل العمر في قوله تعالى: { واللهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوَفَّاكُم ومِنكُم مَّن يُرَدُّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ لِكَي لا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئاً إنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } [النحل: ٧٠]. وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو: أخسّه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القوى، وتفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ والخرف، وخصّه الله بالرذيلة لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد [٢٥].

إلا أن من المفسرين من ذكر أن بعض المؤمنين يُستثنون من حالة الردّ إلى أرذل العمر. قال القرطبي رحمه الله: ((إن هذا لا يكون للمؤمن - يعني الخرف والرد إلى أرذل العمر -، لأن المؤمن لا يُترع عنه علمه)) [٢٦]، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ((ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة))، كما نُقل عن عكرمة قوله: ((من قرأ القرآن لم يُرَد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً)) [٢٧]، وقال طاووس: ((إن العالم لا يخرف)) [٢٨]، وذكر السيوطي عن

---

٢٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الباز، مكة المكرمة، جزء ٢، ص ٥٧٧. وكذلك: فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ، جزء ٣، ص ٤٣٧. وكذلك: أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، جزء ٣، ص ٢٨٥.

٢٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، جزء ١٠، ص ١٤١.

٢٧) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، جزء ٣، ص ٢٨.

٢٨) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٣، ص ١٧٩.

عبد الملك بن عمير أنه قال: ((كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قُراء القرآن)) (٢٩). كما ذكر ابن أبي الدنيا عن الشعبي أنه قال: ((من قرأ القرآن لم يخرف)) (٣٠).

وقال الشنقيطي في أضواء البيان عند تفسير الآية السابقة: ((إن العلماء العالمين لا يناهم هذا الخرف وضياع العلم والعقل من شدة الكبر، ويُستروح لهذا المعنى من بعض التفسيرات في قوله تعالى: { ثُمَّ رَدَدنَاهُ أَسفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحاتِ... } [التين: ٥،٦] وأن الاستثناء (إلا الذين آمنوا) فإنهم لا يصلون إلى حالة الخرف وأرذل العمر (٣١)، ولأن المؤمن مهما طال عمره فهو في طاعة وفي ذكر الله، فهو كامل العقل، وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته لايُصاب بالخرف ولا بالهذيان)) (٣٢).

ونقل السيوطي عن عكرمة عند تفسير قوله تعالى: { ثُمَّ رَدَدنَاهُ أَسفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ... } [التين: ٥،٦] أنه قال: ((ولا يترل تلك المترلة أحد قرأ القرآن ــ أي حفظه ــ)) (٣٣). ونُقل عن محمد بن كعب القرظي قوله: ((من قرأ

---

٢٩) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ، جزء ٥، ص ١٤٦

٣٠) كتاب العمر والشيب، ابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم خلف، مكتبة الرشد، ١٤١٢ هـ، ص ٧٥.

٣١) قال بهذا القول كل من: ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وعطاء، والكلبي، وابن جرير الطبري، أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، جزء ٣٠، ص ٢٤٤، وهناك من قال: أن المقصود بأسفل سافلين النار قال ذلك: علي بن أبي طالب، ومجاهد، والحسن، وأبو العالية، وانتصر لهذا الرأي ابن القيم. انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ، جزء ٥، ص ٢٧٠,

٣٢) أضواء البيان، مرجع سابق، جزء ٩، ص ٣٣٤. ثم ذكر أن شيخ القرآن بالمدينة المنورة الشيخ (حسن الشاعر) لا زال قيد الحياة عند كتابة هذه الأسطر وقد تجاوز المائة بكثير وهو لا يزال يقرئ تلاميذه القرآن، ويعلمهم القراءات العشر، وقد يسمع لأكثر من شخص يقرءون في أكثر من موضع وهو يضبط على الجميع.

٣٣) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٥٥٨.

القرآن مُتَّع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة))[٣٤]، وجزم ابن فورك: ((أن صاحب البر تُنفى عنه الآفات في فهمه وعقله حال كبره)) [٣٥].

وما تقدم ذكره يتناول حفظ الله لعقل المسلم العامل الحافظ للقرآن، أما عن حفظ الله لقوة المسلم عند كبره فقد ذكر ابن رجب عند شرحه لقوله ﷺ ((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة... الحديث[٣٦]))، أن من ((حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله)) [٣٧]، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد)) [٣٨]، والشاهد هنا أن قيام الليل ـــ وهو نوع من أنواع العبادة ـــ يزيد في عافية البدن ويطرد الداء عن الجسد، وبالتالي يمتعه الله بقوته.

كما أظهرت الأبحاث الطبية الحديثة أن الصوم يُطيل مرحلة الشباب ويؤخر أعراض الشيخوخة [٣٩].

وتروي كتب السِّيَر حوادث عديدة تأكيداً لذلك الأمر، فهذا أبو الطيب الطبري قد

---

٣٤) البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، جزء ٩، ص ٢٥٨. وكذلك صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، جزء ٢، ص ١٣٣.

٣٥) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٤١٦.

٣٦) المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سليم سماره وزملاءه، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ، جزء ١، ص ٣٧٧.

٣٧) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ، جزء ١، ص ٤٦٦.

٣٨) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، باب الدعوات: وذكره الألباني في صحيح الجامع ج ٤، ص ٥٠.

٣٩) مجلة الفيصل، عدد ٢٤٣، رمضان ١٤١٧هـ، ص ٤٢.

جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة قوية لا يستطيعها الشباب فقيل له: ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال: ولِمَ ؟ وما عصيت الله بواحدة منها قط (٤٠)، على العكس من ذلك رأى أحد السلف شيخاً يسأل الناس فقال: إن هذا ضيّع الله في صغره، فضيعه الله في كبره (٤١).

وبكل حال فغالب المسلمين لا يصلون إلى هذه المرحلة التي تحدث فيها هذه التغيرات، وهذا التدهور الصحي، والبدني، والنفسي، ذلك أن أعمار المسلمين غالباً بين الستين إلى السبعين، قال رسول الله ﷺ: ((أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك)) (٤٢)، وهذا بشكل عام يشمل جميع المسلمين إلا أنه يمكننا القول أيضاً: أن المسلم المؤمن الحافظ لحدود الله، الحافظ للقرآن، لا تصيبه المتغيرات التي تحدث للإنسان في مرحلة الشيخوخة وبخاصة التغيرات الجسمية والعقلية والنفسية، وإن حدثت فهي أقل ولا شك مما يصيب الآخرين، أو تتأخر فلا تحدث إلا في آخر أيامه. و مما يعضد هذا الرأي ما رواه ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوا بهؤلاء الدعوات لأصحابه: ((اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا... الحديث)) (٤٣). والوارث: هو الباقي، والمراد إبقاء قُوَّته إلى وقت الكبر، وروى الإمام مالك – رحمه الله – في الموطأ أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: ((اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل

---

٤٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد عرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، جزء ١٧، ص ٦٧٠.

٤١) جامع العلوم والحكم، مرجع سابق، جزء ١، ص ٤٦٦.

٤٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٢، ص٤٢٧. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

٤٣) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ١٣، ص ٣١. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

سكناً.. أمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك)) (٤٤)، والشاهد هنا: أنه لو لم تكن إمكانية إبقائها والتمتع بها إلى آخر لحظة في العمر واردة وممكنة لما دعا الرسول ﷺ بهذه الدعوات وشرع لأمته أن تدعو بها من بعده.

يضاف إلى ذلك أن الرسول ﷺ دعا لبعض أصحابه بطول العمر، ولو كان طول العمر شراً للمؤمن أو سوءاً ما دعا به ﷺ لأصحابه، ولما شرع لأمته من بعده أن تدعو به، ففي الحديث الذي يرويه أنسّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: ((اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، وأغفر له)) (٤٥)، ولقد طالت حياته رضي الله عنه، وعاش بعد هذه الدعوة، وتوفى وعمره قد جاوز المائة عام، وفي الحديث الآخر أن أم قيس رضي الله عنها قالت: توفى ابني فجزعت عليه فقلت للذي يغسله: لا تغسل ابني بالماء البارد وتقتله، فانطلق عكاشه بن محصن إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقولها، فتبسم، ثم قال: ((ما قالت طال عمرها)) قال فلا أعلم امرأة عمّرت ما عُمّرت (٤٦)، بل عدَّ الرسول ﷺ طول العمر من السعادة، فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، أن الرسول ﷺ قال: ((... وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة)) (٤٧)، كما أن الله إذا أراد بقوم خير مدَّ لهم في العمر، فيروى أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا أراد الله بقوم خيراً مدَّ لهم في العمر، وألهمهم الشكر))(٤٨). ولذا استدل كثير من العلماء بهذه الأحاديث

---

٤٤) موطأ الإمام مالك، إعداد أحمد عرموش، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص ١٤٢.

٤٥) الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٢٢٣,

٤٦) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٢٢٢، وكذلك المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٣٩٩,

٤٧) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٤٢٢، وقال الهيثمي إسناده حسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، جزء ١٠، ص ٢٠٦.

٤٨) التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، بدون تاريخ، جزء ١، ص ٦٥، وذكر الألباني في ضعيف الجامع الصغير، جزء ١، ص ١٣٩، حديث رقم ٤٤١.

لجواز الدعاء للإنسان بطول العمر.

كما أن الله يكافيء بعض عباده الأصفياء بإطالة أعمارهم وإحيائهم في عافية إلى أن يقبض أرواحهم، روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((إن لله عباداً يضن بهم عن الفناء، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية... الحديث))[٤٩].

ولقد دلنا الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى بعض الأعمال التي بسببها يطول عمر الإنسان، وعدَّ إطالة العمر جزاء لهذه الأعمال الفاضلة، ومن ذلك: بر الوالدين، وصلة الرحم، وحُسن الخُلق، وحُسن الجوار، وتقوى الله. روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((من أحب أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه)) [٥٠]، قال ابن حجر: يُنسأ له في أثره أي: يؤخر في أجله [٥١]، وقال الترمذي: الزيادة في العمر [٥٢]. وحدثت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ((إنه من أعطى حظّه من الرفق، فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحُسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار)) [٥٣]، وروى سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي ﴿ﷺ﴾: ((من برَّ والديه طوبى له، زاد الله عز وجل في عمره))[٥٤]، كما ورد عن

---

٤٩) المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ، جزء١٠، ص ٢١٧، وقال الهيثمي فيه جعفر بن محمد الواسطي الوراق و لم أعرفه وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد، مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٢٠٦.

٥٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٢٣٢.

٥١) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٤١٦.

٥٢) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٥٠.

٥٣) المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص ١٨١. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ٢، حديث رقم ٥١٩.

٥٤) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٢٤.

الرسول ﷺ قوله: ((لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البرّ)) (٥٥).

ولقد فسَّر بعض العلماء رحمهم الله زيادة العمر بأنها البركة في العمر، وبعضهم أوَّلَها بالذكر الحسن بعد وفاة الإنسان فلا يضمحل ذكره في الدنيا سريعاً، وبعضهم قال: إن الزيادة في العمر هي الذرية الصالحة يدعون له من بعده(٥٦). وقيل أيضاً: إن الزيادة في العمر: نفي الآفات، والزيادة في الأفهام والعقول والبصائر، كما قيل إن المقصود بزيادة العمر: السعة في الرزق واليَسَار والزيادة فيه، لأن الفقر موت، كما في الأخبار: إن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام، بأنه يموت عدوّه ثم رآه بعد ذلك، ينسج الخوص، فقال: يارب وعدتني أن تميته. قال: قد فعلت، ذلك لأني أفقرته (٥٧).

والذي يترجح أن زيادة العمر الواردة في الآثار السابقة هي على حقيقتها، لكثرة القائلين به من الصحابة، والتابعين ومنهم: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وأبو وائل، وكعب، وجمع غفير (٥٨). وهو القول الذي رجحه كل من شيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، وابن حجر، وابن قتيبة، وابن فورك، وابن سعدي – رحمهم الله – (٥٩) ولقد انتصر لهذا القول الأخير الشوكاني – رحمه الله– في رسالة نفيسة جمع فيها الأقوال، ورجح

---

٥٥) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، جزء ١، ص ٤٩٣. وقال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي، ومن أراد الاستزادة في هذا الباب يمكنه الرجوع الى كتاب: جمع جهود الحفاظ النقلة بتواتر روايات زيادة العمر بالبر والصلة، لطفي بن محمد الصغيّر، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨ هـ.

٥٦) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٤١٦.

٥٧) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان، مرعي المقدسي الكرمي الحنبلي، تحقيق: مشهور حسن محمود سليمان، دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ، ص ٥٨-٥٩.

٥٨) إرشاد ذوي العرفان، مرجع سابق، ص ٤١.

٥٩) فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، بدون تاريخ، جزء ٨، ص ٥١٧، وابن حجر في: فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١١، ص ٤٨٨، وأنظر قول السيوطي في: إرشاد ذوي العرفان، مرجع سابق، ص ٦٠، وأنظر قول ابن سعدي – رحمه الله – في بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن سعدي، مركز صالح الثقافي، عنيزه، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ١٦٠.

أن الزيادة في العمر على حقيقتها إذا عمل الإنسان لذلك وقام بالأسباب التي تزيد في العمر والمذكورة في الآثار السابقة (٦٠)، وكذلك ممن انتصر لهذا القول أحمد المفتي بغلبة - رحمه الله - وهو من علماء الدولة العثمانية في رسالة صغيرة (٦١).

وهناك من العلماء من قال بعدم الزيادة في العمر، وذلك خروجاً من إشكال قد يرد وهو التعارض مع ما تقرر أن الآجال مضروبة ومقدرة، أخذاً من حديث أم حبيبه زوج النبي ﷺ عندما قالت: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال رسول الله ﷺ: ((قد سألت الله لأجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل حله، أو يؤخر شيئاً عن حله...)) الحديث (٦٢).

ولقد حقق الشيخ مرعي المقدسي - رحمه الله - هذه المسألة تحقيقاً مستفيضاً في رسالة جامعة أورد فيها أدلة القائلين بمنع الزيادة في العمر وأدلة القائلين بالزيادة في العمر، وردود كل فريق على الآخر، وانتهى إلى قول السيوطي - رحمه الله -: إنه قد تظاهرت الأحاديث والآثار على زيادة العمر ونقصه، بالنسبة لما في اللوح المحفوظ، أو برز إلى الملائكة، لا بالنسبة إلى ما علم الله تعالى، فإن علمه أزلي لا يتغير، والأشياء كلها واقعة على وفق علمه في الأزل من غير زيادة ونقص. فعلم الله لا يتغير ولا يتبدل، وما في اللوح المحفوظ يغير ويبدل، وهذا ما يقول به كل من شيخ الإسلام، وابن العربي المالكي، وابن حجر، والشوكاني ـــ رحمهم الله ـــ (٦٣).

ويتلخص من كل ما سبق: أن الزيادة في العمر على حقيقتها، له مستند من

---

٦٠) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عقيل المقطري، مكتبة دار القدس، صنعاء، ١٤١١هـ.

٦١) رسالة فيما يزيد الأعمار ويردّ القضاء، أحمد المفتي بغلبة، تحقيق: عامر الزيباري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ، ص ٤٥.

٦٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الباز، مكة المكرمة، بدون تاريخ، جزء ٨، ص ٥٥

٦٣) إرشاد ذوي العرفان، مرجع سابق، ص.ص ٦٠-٦٦.

الشرع وهو مقتضى النصوص، وبه قال عدد من الأئمة والعلماء - رحمهم الله - كما أنه أمر مرغوب وهو من السعادة في الإسلام إذا اقترن بالعمل الصالح، ويُدعى به للآخرين، بل يكافىء الله عز وجل بعض عباده بإطالة أعمارهم في الدنيا حين قيامهم ببعض الأعمال الفاضلة، كما أن الله يُمتِّع عباده بقواهم وسمعهم وبصرهم وعقولهم إثر أعمال صالحة نشأوا عليها.

بقيت الإشارة في هذا الخصوص إلى أن هناك محاولات لعلاج أمراض الشيخوخة والهرم الذي يصيب بعض الناس في كبرهم، وهذه المحاولات تكثر في العالم الغربي بشكل واضح، وقد ينجرف معها بعض الأطباء المسلمين، إلا أن هذه المحاولات مكتوب لها الفشل مسبقاً بنص حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أسامة بن شريك ـ رضي الله عنه ـ أن الأعراب قالت: يا رسول الله ألا نتداوى، قال ((نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً إلا داءً واحداً قالوا: يارسول الله وما هو قال: الهرم)) (٦٤).

ومن هنا يتضح أنه لا علاج للشيخوخة أو الهرم وفق حديث رسول الله ﷺ، ولكن بالتزام الإنسان المسلم حدود الله، وحفظه للقرآن قد تنعدم أعراض الشيخوخة أو تتأخر على الأقل، أما علاجها بشكل كامل كما تجري المحاولات الآن فذاك مما لا يمكن.

٦٤) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١١٠، ومختصر سنن أبي داود، الحافظ المنذري، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ جزء ٥، ص ٣٤٦. وعارضة = =الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٩٢. وقال الترمذي: وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن خزامة عن أبيه وابن عباس وهذا حديث حسن صحيح.

الفصل الثاني

رعاية المسنين في الإسلام

أولاً: أسس رعاية المسنين في الإسلام.

ثانياً: رعاية الوالدين كمظهر من مظاهر رعاية المسنين.

ثالثاً: رعاية صديق الوالدين كمظهر من مظاهر رعاية المسنين.

رابعاً: رعاية المسنين في المجتمع المسلم.

خامساً: رعاية المسنين في الحروب من قبل الجيوش المسلمة.

سادساً: بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالمسنين.

أولاً:

أسس رعاية المُســـــنّين في الإسلام

تقوم رعاية المسنين في الإسلام على أسس عدة تنطلق منها أوجه الرعاية التي تُقـــدم لهذه الفئة من المجتمع، وأبرز هذه الأسس ما يلي:

١- الإنسان مخلوق مكرم، ومكانته محترمة في الإسلام:

لقد أسجد الله له ملائكته حين خلقه، قال تعالى: { إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَختُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُم أَجمَعُونَ } [ص: ٧١-٧٣]، وهو سجود إكرام وإعظام واحترام كما ذكر المفســـرون (٦٥)، وقال تعالى: { وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلنَاهُم فِي البَرِ وَالبَحرِ ورَزَقنَاهُم مِّنَ الطَّيِبَاتِ وَفَضَّلنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مّـــمّن خَلَقنَا تَفضِيلاً } [الإسراء: ٧٠]، فالمسنُّ له منزلته ومكانتـــه في الإسلام بشكل عام أخذاً من عموم الآيات، إلا أنه مع ذلك له منزلة خاصة ستتبين في ثنايا هذا المبحث بإذن الله.

٢- المجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك متوادّ:

قال تعالى: { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُم... الآية } [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى واصفاً المؤمنين: { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَوَاصَـــوا بِالصَّـــبرِ وتَوَاصَوا بِالمَرحَمَةِ } [البلد: ١٧]، ويصف الرسول ﴿ﷺ﴾ المؤمنين بأنهم كالجسد الواحـــد، وذلك فيما رواه النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((تـــرى

---

٦٥) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٤٣.

المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)) [٦٦]. وفي رواية عنه – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: ((المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)) [٦٧]، وعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) [٦٨]، وذكر جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قول الرسول ﷺ: ((لا يرحم الله من لا يرحم الناس)) [٦٩]، كما أخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: ((الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) [٧٠]، وأخرج الإمام أحمد رحمه الله عن سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: ((إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس)) [٧١]. ولعظم قيمة التراحم عدّ رسول الله ﷺ الذي لا يرحم البشر عموماً من الخاسرين ففي الحديث: ((خاب عبدٌ وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر)) [٧٢]، كما دلنا ﷺ على طريقة تكفل للمجتمع المسلم أن يكون مجتمعاً متحاباً فيما بينه، فيروي أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى

---

٦٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٢٣٨.

٦٧) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٢٠. وكذلك المسند، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٣٧٦.

٦٨) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص ١٤.

٦٩) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٢٦٨٦.

٧٠) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١١١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٧١) المسند، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٤٢٤.

٧٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ١، ص ٥١١، وأدرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير، جزء ٣، حديث رقم ٤٥٧.

تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم))[٧٣].

٣- إن جزاء الإحسان في الإسلام الإحسان:

قال الله تعالى: { هَل جَزَاءُ الإِحسَانِ إِلاَّ الإِحسَانَ } [الـرحمن: ٦٠]، أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق، ونفع عبيده، إلا أن يحسن خالقه إليه بالثواب الجزيل، والفـوز الكبير والنعيم والعيش السليم [٧٤]. قال محمد بن علي (ابن الحنفية) – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: هي مسجلة للبَرِّ والفاجر [٧٥]، روى شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء...)) الحديث [٧٦]. وعن أنس رضـي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال: ((ما أكرم شابٌ شيخاً لسنِّه إلا قيَّض الله له من يكرمه عند سـنِّه)) [٧٧]، فهذا الحديث يبيِّن أن إحسان الشاب للشيخ يكون سبباً لأن يقيِّض الله له من يكرمه عند كبره، ومن العلماء من قال: إن في هذا الحديث دليل على إطالة عمر الشـاب الـذي يكرم المُسنَّين [٧٨].

---

٧٣) المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٦٣٠. وكذلك: الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١٠٢، مع اختلاف في اللفظ واللفظ المثبت لأحمد في المسند.

٧٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، جزء ٧، ص ٢٥٧.

٧٥) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٦١.

٧٦) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٧٢.

٧٧) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٧٩.

٧٨) قال ابن العربي: قال علماؤنا: في هذا دليل على أن الفتى إذا أكرم الشيخ كان ذلك علامة على طول العمر لقوله ﷺ: (قيض الله له عند سِنِّه) ثم روى حادثةً عن محمد بن القاسم العثماني أنه قال: دخل ابن عبدالصمد الشـاعر في مجلس وقد أكل منه الكبر وشرب وله هودلة في مشيه من ذلك فتغامز الأحداث عليه فما استقر به المجلس استدعى دواة وقرطاساً وكتب:

يا عئبا للشيوخ مـن أشـر ... داخلـه للصـبي ومـن بـذخ
أذكر إذا شـئت أن تعيبهـم ... جـدَّك واذكـر أباك يابن أخـي
واعـلم بأن الشباب منسلـخ ... عنـك وما وزره منسـلخِ
من لا يعز الشـيوخ لا بلغـت ... يـوماً به سـنُّه إلى الشِّـيخ

٤- المجتمع المسلم مجتمع متعاطف متكاتف متعاون:

لقد حضَّ الإسلام وحرص على أن يجعل المجتمع المسلم متآزراً متعاوناً يشد بعضه بعضاً، وذلك من خلال الحثّ المتواصل لأفراده على خدمة بعضهم بعضاً، وتفريج كرب إخوانهم المسلمين، وإدخال السرور على أنفسهم، وكفّ ضيعتهم، ورتَّب على ذلك الأجر الجزيل، وعدَّه رسول الله ﷺ من أفضل الأعمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل: أي العمل أفضل ؟ قال: ((أفضل العمل أن تُدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً)) (٧٩). كما جعل عون الرجل لأخيه المسلم صدقة يتصدق بها عن نفسه في كل يوم، فعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: ((في ابن آدم ستون وثلاثمائة سلامى أو عظم أو مفصل، على كل واحد في كل يوم صدقة، كل كلمة طيبة صدقة، وعون الرجل أخاه صدقة...)) الحديث (٨٠).

ولقد وصف رسول الله ﷺ حال المؤمن مع أخيه المؤمن في المجتمع بأبلغ عبارة وأدق وصف، وذلك فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: ((المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه)) (٨١)، وأخرج مسلم رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) (٨٢).

ويتواصل الحث من الرسول ﷺ لأفراد المجتمع المسلم بأن يتعاونوا ويكونوا في خدمة بعضهم بعضاً، والتساعد لقضاء حوائج بعضهم البعض، روى جابر رضي الله عنه

انظر: عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص.ص ١٠٩-,١١٠

٧٩) الترغيب والترهيب، المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٣، ص ١١٧،. وأدرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، الجزء السادس، حديث رقم ٢٧١٥.

٨٠) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١٥٢.

٨١) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٩٥.

٨٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ١، ص ٤٩.

حديثاً عن الرسول ﴿ﷺ﴾ وفيه: ((... ومن يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته)) [٨٣]، ويا له من عون للإنسان عندما يكون الله في حاجته، ولكن ذلك لا يتحقق إلا حينما يكون المسلم في حاجة أخيه المحتاج لأي نوع من أنواع الحاجة.

ولقد وجَّه الرسول ﴿ﷺ﴾ أمته إلى نفع الناس وإدخال السرور على أنفسهم وكشف كربهم، وعدَّ مَن يفعل ذلك بأنه أحب الناس إلى الله، كما أخبر ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربه...)) الحديث [٨٤].

٥-المسِنّ المؤمن له مكانته عند الله ولا يُزاد في عمره إلاّ كان له خيراً:

تضافرت الأحاديث الواردة عن الرسول ﴿ﷺ﴾ أن المؤمن لا يزاد في عمره إلا يكون خيراً له، إضافة إلى أن المُسِنَّ المؤمن له مكانة خاصة تتمثل في تجاوز سيئاته وشفاعته لأهل بيته، فلقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً)) [٨٥]، وعن أنس - رضي الله عنه - قال: أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((ألا أنبئكم بخياركم. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: خياركم أطولكم أعماراً إذا سددوا)) [٨٦]. وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً)) [٨٧]، وفي المسند أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((ليس أحد أفضل عند الله

---

٨٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٨٦٣، وكذلك صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٨.

٨٤) المعجم الكبير، مرجع سابق، جزء ١٢، ص ٤٥٣.

٨٥) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٦٥.

٨٦) مسند أبي يعلي الموصلي، أحمد بن علي التميمي، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، بيروت، جزء ٦، ص ٢١٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن الجزء ١٠، ٢٠٦

٨٧) المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٣١٠.

من مؤمن يُعمَّر في الإسلام لتسبيحه، وتكبيره، وتهليله)) [٨٨]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ أنه قال: ((الخيرُ مع أكابركم)) [٨٩]. وفي رواية: ((البركة مع أكابركم)). وأخرج الإمام أحمد رحمه الله في المسند عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من مُعَمَّر يعمَّر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلايا: الجنون، والجذام، والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة ليَّن الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يُحب، فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قَبِل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيته)) [٩٠]، وعن عبد الله بن بسر قال: أتى النبي ﷺ أعرابيان فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد ؟. قال النبي ﷺ: ((من طال عمره وحسن عمله...)) الحديث [٩١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان من (بلي) ـــ حيّ من قضاعة - أسلما مع رسول الله ﷺ، فاستشهد أحدهما وأُخر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه - فرأيت الجنة فرأيت المؤخر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصبحت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ

---

٨٨) المسند، مرجع سابق، جزء ١، ص ٢٠، وطرف الحديث: أن نفراً من بني عذره....

٨٩) مختصر زوائد مسند البزار، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري بن عبد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ، جزء ٢، ص ١٨٨، وقال الزرقاني صحيح، انظر: مختصر المقاصد الحسنة، الزرقاني، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ص ٨٢، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير، جزء ٣، حديث رقم ٢٨٨١. وكذلك في سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، جزء ٤، حديث رقم ١٧٧٨، وقال الهيثمي: في إسناد البزار نعيم بن حماد وثقه جماعة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

٩٠) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٧٥، وأنظر: مسند أبي يعلي الموصلي، مرجع سابق، جزء ٧، ص ٢٤١، وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، جزء ٤، حديث رقم ٤٠٤٧، وقد رد الشيخ أحمد شاكر على ابن الجوزي في إيراده هذا الحديث في كتابه الموضوعات وقوَّى معنى الحديث وذكر له طرقاً. أنظر: جامع الأحاديث القدسية، أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي، ١٩٩١م، المجلد الثالث، ص ٤٣٥.

٩١) المسند، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٢٥٨، وأدرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير، جزء ٣، حديث رقم ٣٢٩١.

فقال رسول الله ﷺ ((أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعة صلاة سنة)) (٩٢).

وعنه – رضي الله عنه – أنَّ الرسول ﷺ قال: ((إن الله يحب أبناء السبعين ويستحي من أبناء الثمانين))، وقال المناوي: أي يعاملهم معاملة المستحي بأن لا يعذبهم فليس المراد حقيقة الحياء الذي هو انقباض النفس عن الرذائل (٩٣).

٦- توقير الكبير والتشبه به سمة من سمات المجتمع المسلم:

يتصف المجتمع المسلم بصفات كريمة، منها: توقير الكبير في السن، وقد تواتر حثُّ رسول الله ﷺ على إكرام الكبير، وتوقيره، ومن ذلك ما أخرجه البخاري – رحمه الله – عن أبي موسى – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم...)) الحديث (٩٤)، كما أخرج الترمذي – رحمه الله – عن أنس رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)) (٩٥)، وذكر بعض العلماء أن مقتضى هذه الصيغة وهي قول الشارع عليه الصلاة والسلام ((ليس منا..)) التحريم، ومن العلماء من جعلها كبيرة (٩٦)، وأخرج الإمام أحمد –رحمه الله – عن أنس رضي الله عنه أنه قال

---

٩٢) المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٤٣٩، وقال الهيثمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد، مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٢٠٧.

٩٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ١، ص ٢٧٢، وقال الشارح: إسناده حسن، وذكره الألباني في ضعيف الجامع، جزء ٢، ص ١١٢، حديث رقم ١٦٩٦.

٩٤) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١٣٠، وكذلك: سنن أبي داود، الحافظ أبي داود، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص ٦٧٧.

٩٥) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٠٧، وكذلك: الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١٣٠، مع اختلاف في اللفظ، واللفظ المثبت للترمذي.

٩٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح الحنبلي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٩٧٧م، جزء ١، ص ٤٧١.

((... جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﴿ﷺ﴾. فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأبي بكر: لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه...)) الحديث (٩٧).

وفي الحديث أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((خير شبابكم من تشبه بكهولكم...)) الحديث (٩٨)، ويُروى عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أنه قال: ((إن الله يحب ابن العشرين إذا كان شبيه ابن الثمانين...)) الحديث (٩٩).

وذكر ابن حجر – رحمه الله – في الفتح حديثاً فيه توجيه إلهي كريم باحترام الأكابر وتقديرهم وهو قول الرسول ﴿ﷺ﴾: ((أمرني جبريل أن أقدم الأكابر)) (١٠٠). كما أورد الهيثمي عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه)) (١٠١). وروى الصنعاني في المصنف عن طاووس عن أبيه قال: (من السنة أن يوقرَّ أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد...) (١٠٢)، وتأكيداً لذلك عقد البخاري – رحمه الله – ثلاثة

---

٩٧) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٠٢، وكذلك: مسند أبي يعلي الموصلي، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢١٦، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ١، حديث رقم ٤٩٦.

٩٨) كتاب فردوس الأخبار، الديلمي، تحقيق: فواز الزمرلي ومحمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، جزء ٢، ص ٢٨٢، وكذلك: التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ١، ص ٥٣٠، وقال المناوي، – رحمه الله – عن إسناده: وفيه من لا يعرف... ولكن تعدد طرقه تجبره، أ هـ، وأدرجه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، جزء ٣، ص ١٣٨، حديث رقم ٢٩١٠.

٩٩) كتاب فردوس الأخبار، مرجع سابق، جزء ١، ص ١٩٧، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، جزء ٥، ص ١١٧، حديث رقم ٢٠٩٨.

١٠٠) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١، ص ٣٥٧، وكذلك: المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص ١٨٤، واللفظ لابن حجر.

١٠١) مجمع الزوائد، مرجع سابق، جزء ٧، ص ١٩.

١٠٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ، جزء ١١، ص ١٣٧، وكذلك: شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، جزء ١٣، ص ٤١.

أبواب في كتابه الأدب المفرد وهي: (باب فضل الكبير)، و (باب إجلال الكبير)، و (باب يبدأ الأكبر بالكلام والسؤال).

٧- المسنُّ ذو الشيبة المسلم له منزلة ومكانة متميزة في الإسلام:

وذلك بما ألبسه الله من ثياب الوقار بشيبه، فقلد روى كعب بن مرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة)) الحديث [١٠٣]، وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول ﷺ: ((إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم...)) الحديث [١٠٤]، كما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - أنه قال: نهي رسول الله ﷺ عن نتف الشيب، وقال: ((هو نور المؤمن))، وقال: ((ما شاب رجل في الإسلام شيبة إلا رفعه الله بها درجة، ومحيت عنه بها سيئة وكتبت له بها حسنة)) [١٠٥]. وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - أنه قال: ((كان إبراهيم - عليه السلام - أول الناس ضيَّف الضيف، وأول الناس أختتن، وأول الناس قصَّ الشارب، وأول الناس رأى الشيب فقال: يارب ما هذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى: وقار يا إبراهيم، فقال: يارب زدني وقاراً)) [١٠٦].

وقد تقدم حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من مُعمَّر يعمَّر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلايا، الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة ليَّن الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه

---

١٠٣) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٧، ص ١٣٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

١٠٤) الأدب المفرد، مرجع سابق، ١٣٠، وكذلك: سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء ٢، ص٦٧٧، وكذلك: رياض الصالحين، النووي، تحقيق عبدالعزيز رباح، وأحمد الدقاق، دار الوراق، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ١٤٨، وقال النووي: حديث حسن.

١٠٥) المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٧٤، وكذلك: سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٢، ص ١٢٢٦، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، أنظر: صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ٣٠٤.

١٠٦) موطأ الإمام مالك، مرجع سابق، ص ٦٦٠.

بما يُحب، فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسُمي أسير الله في أرضه، وشفَّع لأهل بيته)) (١٠٧). كما روى أنس - رضي الله عنه - - أيضاً - عنه ﷺ أنه قال: ((يقول الله تبارك وتعالى: [إني لأستحي من عبدي وأمتي فتشيب لحية عبدي ورأس أمتي في الإسلام أعذبها بعد ذلك])) (١٠٨). وعنه رضي الله عنه أنه قال: ((لقد قبض الله عز وجل رسوله وما فضحه بالشيب، ما كان في رأسه ولحيته يوم مات ثلاثون شعرة بيضاء، وقيل له: أفضيحة هو ؟ قال أما أنتم فتعدونه فضيحة وأما نحن فكنا نعده زيناً)) (١٠٩).

٨- وجوب تقديم الرعاية الشاملة للمُسنّ من قبل الدولة:

ذلك أن المُسِنَّ يدخل ضمن الرعية التي يُعَدُّ إمام المسلمين راعياً لهم ومسؤولاً عنهم، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته...)) الحديث (١١٠)، وهذه المسئولية التي تلزم إمام المسلمين تجاه رعيته ومن بينهم المسنين، هي مسئولية شاملة لجوانب الرعاية كلها وما تحمله من وجوه ومعان فالرعاية اقتصادية، واجتماعية، وطبية، ونفسية.... الخ، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يُحطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة)) (١١١). ومعنى (لم يحطها):

---

١٠٧) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٧٥.

١٠٨) مسند أبي يعلي، مرجع سابق، جزء ٥، ص ١٥٣، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلي وفيه نوح بن ذكوان وغيره من الضعفاء، مجمع الزوائد، مرجع سابق، جزء ٥، ص ١٦٢.

١٠٩) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص ١٨٣.

١١٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٨٤٨، وكذلك: صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٨، واللفظ للبخاري.

١١١) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٢٦١٤.

لم يتعهد أمرها ويحفظها.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((ما من أمير يلي أمر المسلمين لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة)) [١١٢]. كما أن ولي أمر المسلمين هو المسؤول الأول والأخير عن الضعفاء في المجتمع، فقد روى جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً[١١٣] فعَلَيَّ وإليَّ وأنا أولى بالمؤمنين)) [١١٤].

وبعد فهذه أبرز الأسس التي تنطلق منها جميع أوجه الرعاية المُقَدَّمَة للمسنين في الإسلام وتقوم عليها.

---

١١٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٩.

١١٣) الضياع: اسم ما هو معرض أن يضيع إن لم يتعهد، كالذرية الصغار والزمنى.

١١٤) صحيح سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٥٣.

ثانياً:

رعاية الوالدين باعتبارها مظهر من مظاهر رعاية المسنين

لقد أوصى الله بالوالدين خيراً، وأمر ببرِّهما وجعل الإحسان إليهما قرين عبادته، قال تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً..... } [الإسراء: ٢٣]، كما جعل شكره قريناً لشكر الوالدين، قال تعالى: { وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [لقمان: ١٤]، وفي جعل الشكر لهما مقترناً بالشكر لله دلالة على أن حقَّهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها [١١٥]، وعكس ذلك فقد جعل الشرك قرين العقوق لهما، فلقد روى أنس رضي الله عنه أن الكبائر ذُكرت عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: ((الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين...)) [١١٦].

ولقد نهى الله عز وجل عن نهرهما بأدنى الكلمات، وهي: أف، ونقل السيوطي عن الديلمي أن الحسن بن علي – رضي الله عنهما – قال: ((لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أف لحرمّه)) [١١٧]. ولقد أتى برُّ الوالدين في المرتبة الثانية بعد الصلاة في محبة الله، لِما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾: أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: الصلاة على وقتها. قال ثم أي ؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أي ؟ قال: الجهاد في سبيل الله)) [١١٨].

والوالدان هما مفتاح الجنة للابن فبرهما يدخل الجنة وبخاصة من أدرك أبويه عند

---

١١٥) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٢٣٨.

١١٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٢٣٠.

١١٧) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٥٨.

١١٨) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص ١٩٧.

الكبر، لما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه. قيل مَنْ يارسول الله ؟ قال: من أدرك والديه عنده الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة)) (١١٩).

ولقد قدَّمَ الرسول ﴿ﷺ﴾ برهما على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي ﴿ﷺ﴾ يستأذنه في الجهاد فقال: ((أحيّ والداك ؟ قال نعم. قال: ففيهما فجاهد)) (١٢٠).

ثم جعل الله تعالى رضاه في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما، قال الرسول ﴿ﷺ﴾: ((رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد))(١٢١)، بل جعل للوالد حرية التصرف في مال الابن أخذاً من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –: ((أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح – يستأصل – مالي، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: أنت ومالك لأبيك)) (١٢٢)، قال الترمذي: ((والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾ وغيرهم، قالوا: إن يد الوالد مبسوطة في مال ولده يأخذ ما يشاء، وقال بعضهم: لا يأخذ من ماله إلا عند الحاجة إليه)) أ.هـ (١٢٣).

ولقد بين الرسول ﴿ﷺ﴾ أن بر الوالدين سبب لإطالة العمر وزيادة الرزق، أخرج أحمد في المسند عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((من أحب أن يمد له في عمره وأن يزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)) (١٢٤)، ومهما بذل الإنسان من عمل

---

١١٩) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٥.

١٢٠) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٣.

١٢١) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٩٥.

١٢٢) سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٧٦٩، قال المحقق: رجاله ثقات على شرط البخاري، وفي الزوائد: إسناده صحيح، وذكره الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ١٤٩٨,

١٢٣) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٦، ص ١١٠.

١٢٤) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٩١.

فلن يجزي والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه ويعتقه كما أخبر بذلك الرسول ﴿ﷺ﴾ (١٢٥).

ويؤكد ذلك ما ذكره ابن حجر: أن سليمان بن بريدة روى عن أبيه رضي الله عنه: ((أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها، فسأل النبي ﴿ﷺ﴾: هل أديت حقها ؟ قال: ولا بزفرة واحدة)) (١٢٦)، وعند البخاري في الأدب المفرد أن الذي أجاب السائل هو ابن عمر رضي الله عنهما وليس الرسول ﴿ﷺ﴾ (١٢٧).

إن بر الوالدين لا يقتصر على الوالد المسلم أو الأم المسلمة، بل الابن مطالب ببرهما حتى وإن كانا كافرين، وليس هذا فحسب، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برهما من غير طاعة لهما في الشرك. روى الإمام مسلم في صحيحه عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص: أنه نزل فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، و لا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا، قال: فمكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل هذه الآية { ووصينا الإنسان بوالديه حسناً. وإن جاهداك على أن تشرك بي.... } وفيها: {وصاحبهما في الدنيا معروفا }.. الحديث (١٢٨).

وهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تقدم عليها أمها (قتيلة بنت عبد العزى) وهي كافرة، فتستفتي رسول الله ﴿ﷺ﴾ قائلة له: ((إن أمي قدمت وهي راغبة))، وفي رواية: ((وهي راغمة)) – أي: ساخطة وكارهة للإسلام – ((أفأصل أمي ؟ قال: نعم صلي

---

١٢٥) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٢١٨.

١٢٦) مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٨٣.

١٢٧) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٢٠,

١٢٨) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٧، ص ١٢٦.

أمك)) [١٢٩]. ونزل قوله تعالى { لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِيَن لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ... الآية } [الممتحنة: ٨].

ولا يمنع كفُر الوالدين برَّ الأبناء بهما، ولا حتى نفاق الوالدين وهو أشد من الكفر، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ مرّ على عبد الله بن أبي سلول وهو في ظل، فقال: غبَّر علينا ابن أبي كبشة. فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: والذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب لئن شئت لآتينك برأسه. فقال رسول الله ﷺ: لا، ولكن برّ أباك وأحسن صحبته)) [١٣٠].

ويستمر البر بالوالدين الكافرين حتى بعد مماتهما فعن علي رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات. فقال له ﷺ ((اذهب فواره. فقال: إنه مات مشركاً، فقال: اذهب فواره... وفي الحديث أن عليّا رضي الله عنه عاد إلى رسول الله ﷺ بعد ما واراه، فدعا له الرسول ﷺ)) [١٣١]، وأخذاً من هذا الحديث فإنه يشرع للمسلم أن يتولى دفن قريبه المشرك، وأن ذلك لا ينافي بغضه إياه لشركه، ودفن الولد أبيه المشرك أو أمه المشركة هو آخر ما يملكه الولد من حسن صحبة الوالد المشرك في الدنيا [١٣٢].

والأمر ببِّر الوالدين ليس مختصاً بهذه الأمة الإسلامية، بل هو مما كُتب على السابقين وما ذلك إلا لأهميته ووجوبه، قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً... الآية } [البقرة: ٨٣].

ولقد تمثَّل المسلمون تلك التوجيهات وتعددت قصصهم في ذلك فهذا محمد بن

---

١٢٩) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٩٢٤، وكذلك: المسند، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٤، وكذلك: مختصر سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء ٢، ٢٥١.

١٣٠) المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ، جزء١، ص ١٧٧.

١٣١) المسند، مرجع سابق، جزء ١، ص ١١٨، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ١، حديث رقم ١٦١.

١٣٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، جزء ١، ص ٩٤.

المنكدر رحمة الله يقول: (بات عمر أخي يصلي وبت أغمز رجل أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته) [١٣٣]، فلقد فضّل تغميز قدميّ أمه على قيام الليل، وما ذلك إلا لفقهه رحمه الله.

وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن طاووس قال: (كان رجل له أربعة بنين فمرض، فقال أحدهم: إما أن تمرضوه، وليس لكم من ميراثه شئ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شئ، قالوا: بل مرضه وليس لك من ميراثه شئ، فمرضه حتى مات، ولم يأخذ من ماله شيئاً) [١٣٤]. فلقد تنازل عن نصيبه من الميراث حتى يضمن قيامه بآخر حق لوالده عليه.

والمرأة التي غفر الله لها كما أخبر بذلك الرسول ﷺ إنما كان بسبب برها بوالديها، ذلك أنه كان لها أم عجوز كبيرة فجاءهم النذير أن العدو يريد أن يغير عليكم الليلة، فارتحلوا ليلحقوا بعظيم قومهم ولم يكن معها ما تحتمل عليه، فعمدت إلى أمها، فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعيت وضعتها، ثم ألصقت بطنها ببطن أمها، وجعلت رجليها تحت رجلي أمها من الرمضاء حتى نجت فغفر الله لها [١٣٥].

وعلى كل حال فما سبق من الآثار والأحاديث في بر الوالدين يتضح لنا أمراً جلياً آخر مصاحب للبر وهو أن كل هذه الرعاية التي تقدم للوالدين يمكننا أن نعدها مظهراً من مظاهر رعاية المسنين في المجتمع المسلم، إذ الغالب الأعم أن الوالدين كبيران في السن، فإلى جانب البر الذي أمر الله به للوالدين نجد هناك رعاية للمسن في المجتمع، وهذا النوع من أظهر أنواع رعاية المسنين في المجتمع المسلم لوجوده في غالب أسره.

ولقد دلس الشيطان على بعض الأبناء وأوحى إليهم أن الرعاية التي تقدمها الدولة أو الجمعيات الخيرية من خلال دور رعاية المسنين أفضل وأشمل من الرعاية التي يقدمها الأبناء، وبخاصة إذا كان الابن فقيراً، ومن هنا يسوغ له أن يودعهما الدار أو أحدهما براً بهما وخدمة لهما حسب ظنه....، ولقد صدرت الفتوى بعدم جواز التخلي عن الوالدين أو

---

١٣٣) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٦٨.

١٣٤) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٦٨.

١٣٥) المصنف، مرجع سابق، جزء ١١، ص ١٣٣.

أحدهما بحجة أن الخدمة التي تقدمها الدولة لهم من خلال دور رعاية المسنين أفضل وأشمل من الخدمة والرعاية التي قد يقدمها لهما الأبناء في المترل بسبب فقر الأبناء، لأن ولاية الدولة ولاية عامة، وولاية الولد ولاية خاصة، وهذه الولاية الخاصة أوجب وألزم من الولاية العامة(١٣٦).

١٣٦) أنظر: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد العاشر، السنة الثالثة، محرم ١٤١٢هـ، الرياض (أنظر نص الفتوى في الملاحق).

ثالثاً: رعاية صديق الوالدين بوصفهما مظهراً من مظاهر رعاية المسنين في الإسلام

لقد أوصى الإسلام ببر الوالدين في حياتهما، كما فتح باب البر حتى بعد وفاتهما، وجعل من أبواب برهما صلة صديقهما بعد وفاتهما، فلقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((من البر أن تصل صديق أبيك)) (١٣٧)، بل عده الرسول ﴿ﷺ﴾ من أبر البر، أخرج الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه)) (١٣٨)، وإضافة إلى كونها صلة لصديق الأب فهي إكرام لصديق الوالدين أيضاً، وهذه خصلة زائدة على الصلة، فلقد روى البخاري أن أبا أسيد رضي الله عنه قال: ((كنا عند النبي ﴿ﷺ﴾ فقال رجل: يا رسول الله: هل بقي من بر أبوي شئ بعد موتهما ؟ قال: نعم، خصال أربع: الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما....)) الحديث (١٣٩).

وهذا أمر صريح من الرسول ﴿ﷺ﴾ بحفظ ودّ الأب ؛ ولذا حذر من قطعه بالعقوبة فقال ﴿ﷺ﴾: ((احفظ ودّ أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك)) (١٤٠)، والأمر بصلة صديق الأب كان في شرع من قبلنا، فلقد أخرج البخاري أن عمرو بن

---

١٣٧) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٣٧٩، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ٥، حديث رقم ٢٣٠٣.

١٣٨) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٦، وكذلك: الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٣١، واللفظ لمسلم.

١٣٩) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٣٠، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، جزء ٨، ص ١٤٧.

١٤٠) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٣١.

عثمان كان جالساً في مسجد المدينة فمر به عبد الله بن سلام متكئاً على ابن أخيه، فنفذ من المجلس، ثم عطف عليه فرجع عليهم، وقال: ما شئت عمرو بن عثمان - مرتين أو ثلاثاً - فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق، إنه لفي كتاب الله عز وجل - التوراة - مرتين: (لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ بذلك نورك) (١٤١).

ولقد تمثل المجتمع الإسلامي الأول ذلك البر وتعامل معه واقعاً عملياً وتطبيقياً فيروي لنا الإمام مسلم في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا خرج إلى مكة له حمار يتروح عليه إذا ملّ ركوب الراحلة، وعمامة يشدّ بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذ مر به أعرابي فقال: ألست ابن فلان ابن فلان ؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة قال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تتروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي وإن أباه كان صديقاً لعمر رضي الله عنهم)) (١٤٢).

وبلغ بهم الأمر أن يسافر أحدهم ليصل أصدقاء أبيه، ففي المسند أن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: ((أتيت أبا الدرداء في مرضه الذي قُبض فيه، فقال لي: يا ابن أخي: ما أعمدك إلى هذا البلد ؟ أو ما جاء بك ؟ قال: قلت: لا، إلا صلة ما كان بينك وبين والدي عبد الله بن سلام....)) (١٤٣).

وها هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يكرر الأمر مع أبي بردة فعن هدبة بن خالد عن أبي بردة قال: قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك ؟ قال: قلت: لا. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أحب

---

١٤١) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٣٢.

١٤٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص ٦.

١٤٣) المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص ٥٠٠.

أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده))، وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود [١٤٤]، فأحببت أن أصل ذلك.

إن رعاية المسنين قد لا تبدو ظاهرة من هذه الآثار، ولكن بتأمل بعض جوانبها يتضح لنا ذلك، فمما لا شك فيه أن صديق الوالدين في الغالب الأعم كبير السن، فعندما يقوم المسلم بصلة صديق والديه وإكرامه فهو في حقيقة الأمر قام برعاية لمسن في المجتمع، إلى جانب بره بوالديه، وهذه إحدى صور البر الرائعة في المجتمع المسلم، والتي تساعد أفراد المجتمع على القيام بدمج المسن في المجتمع، كما يؤدي ذلك إلى القضاء على العزلة التي قد يمر بها كبير السن أو يشعر بها، وبهذا التوجيه الكريم استطاع الإسلام أن يخفف من آثار التغيرات الاجتماعية التي يمر بها المسن والتي ذكرت في الفصل السابق، وليس هذا فحسب بل والتغيرات النفسية، لأن بينهما علاقة تأثيرية متبادلة كما ذُكر.

فحين يزور أفراد المجتمع أصدقاء آبائهم فهم بذلك يبروا آباءهم، وذلك يعني أن الجيل المتوسط في المجتمع قد ارتبط تلقائياً بجيل كبار السن، وأصبح المسنون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع بخلاف ما يحدث في المجتمعات غير المسلمة، إذ تطالعنا الأخبار بين حين وآخر عما يحدث لبعض المسنين هناك، فهذا مسن يبقى متوفياً داخل شقته لمدة أربع سنوات و لم تكتشف جثته إلا صدفة [١٤٥]. أترى لو كان أبناء أصدقائه يزورونه ويصلونه هل سيصل إلى هذه الحالة ؟!! وهذا تقرير يصدر عن وزارة الأسرة والشبيبة والكهولة في ألمانيا جاء فيه: أن هناك ٤٤٠ ألف مسن تعرضوا لإيذاء جسدي ومعاملة سيئة مرة واحدة على الأقل عام ١٩٩٣م [١٤٦]،

---

١٤٤) الترغيب والترهيب، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٣٢٣، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ٣، حديث رقم ١٤٣٢.

١٤٥) أنظر: صحيفة الجزيرة السعودية، عدد ٧٧٥١.

١٤٦) أنظر: صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٥٩٨٥.

والغريب في الأمر أن ذلك الإيذاء صادر من أفراد الأسرة وليس من أغراب، فهل ينتظر من أفراد الأسرة تلك صلة صديق والدها ؟

وهذه عجوز تموت جوعاً في شقتها بسبب ابنها الذي قطع عنها الماء والكهرباء والغاز، وأصبحت رهينة شقتها عاجزة عن الحركة حتى اكتشف الجيران أمرها، ولكن بعد فوات الأوان ! ويضيف الخبر أن أقرباء المسنة لم يبدوا أي اهتمام تجاه الأمر (١٤٧) !؟

ولا يقتصر الأمر على العالم الغربي فحسب ! بل حتى العالم الشرقي عمه هذا البلاء، فتذكر مجلة (فوكوس) اليابانية بعض المآسي، فهذا مسن عُثر على جثته بعد سنة ونصف من وفاته في شقته بأحد الأحياء الراقية جداً في مدينة طوكيو، وهذه مسنة عثر عليها في شقتها بمدينة طوكيو وقد ماتت جوعاً، وأشدها غرابة ذلك العجوز الذي توفى وقد تجاوز عمره التسعين عاماً، إلا أن أحداً لم يدر بموته إلا بعد خمسة أيام، ومبعث الاستغراب أنه مات في دار خاصة بالمسنين في مدينة (سابور) بجزيرة (هوكايدو) باليابان ولم يشعر العاملون بموته رغم وجوده في دار خاصة برعايته والعناية به !!!، وقد علم بوفاته بعض أفراد عائلته عندما جاءوا لزيارته، فيا ترى كم كان سيبقى وهو جثة هامدة في دار المسنين لو تأخرت عائلته عن زيارته ؟ (١٤٨).

---

١٤٧) أنظر: صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٦٤٥٢.

١٤٨) أنظر: جريدة اليوم السعودية، عدد ٨٥٤٢.

رابعاً: رعاية المسنين في المجتمع المسلم

للمسن مكانته المتميزة في المجتمع المسلم، فهو يتعامل معه بكل توقير واحترام، يحدوه في ذلك قول الرسول ﷺ ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)) [١٤٩]، ويظهر ذلك التوقير والاحترام في العديد من الممارسات العملية في حياة المجتمع المسلم، وجميع هذه الممارسات لها أصل شرعي، بل فيها حث وتوجيه نبوي فضلاً عن ممارساته ﷺ مع المسنين وتوجيه أصحابه نحو العناية بالمسنين، وتوقيرهم واحترامهم وتقديمهم في أمور كثيرة، فها هو ﷺ يأمر خادمه أنساً رضي الله عنه صراحة بذلك ففي الحديث: ((يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير...)) الحديث [١٥٠]، وفي إلقاء السلام أمر ﷺ أن ((يسلم الصغير على الكبير...)) الحديث [١٥١] وأن يبدأ الصغير بالتحية ويلقيها على الكبير احتراماً وتقديراً له. وفي الكلام أمر ﷺ، ألا يتكلم الصغير في أمر دون الكبير، روى رافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر فتفرقا في النخل، فقتل عبد الله بن سهل فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة أبناء مسعود إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهما فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم، فقال النبي ﷺ: ((كبر الكُبَر. قال يحيى - أحد رواة الحديث - يعني ليلي الكلام الأكبر...)) الحديث [١٥٢] ففي هذا الحديث إرشاد إلى الأدب

---

١٤٩) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص ١٠٧، وكذلك: الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ١٣٠، مع اختلاف في اللفظ، واللفظ المثبت للترمذي.

١٥٠) مسند أبي يعلي، مرجع سابق، جزء ٧، ص ١٩٧.

١٥١) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٣٠٢.

١٥٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٢٧٥، كذلك: صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٩٩، وفي رواية النسائي: ((الكبر، ليبدأ الأكبر...))، أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٧٦.

في تقديم كبار السن في الحديث.

ولقد أمر ﴿ﷺ﴾ أن يبدأ بتقديم الشرب للأكابر ففي الحديث أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا سقي قال: ((أبدؤا بالكبراء أو قال: بالأكابر [١٥٣])، ولقد مارس ذلك ﴿ﷺ﴾ عملياً تقول عائشة – رضي الله عنها –: ((كان يستن وعنده رجلان فأوحى إليه: أن أعط السواك الأكبر [١٥٤]) وقال ابن بطال: فيه تقديم ذي السن في السواك، ويلحق به الطعام والشراب والمشي والكلام)) [١٥٥].

وفي فعله ﴿ﷺ﴾ عندما أتاه عيينة بن حصن وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهم وهم جلوس جميعاً على الأرض فيدعوا لعيينة بنمرقة – وسادة – فأجلسه عليها، وقال: ((إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه))، وفي رواية أخرى: ((إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه)) [١٥٦]، وعند الحاكم أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ((كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم)) [١٥٧]، ولا شك أن المسنين في المجتمع من ضعفاء المسلمين.

ولمكانة المسن ووقاره حثّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ الشباب على التشبه بكبار السن لما لديهم من خصال لا تكون عند الشباب غالباً فمما روي عنه ﴿ﷺ﴾ قوله: ((خير شبابكم

---

١٥٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٣هـ، جزء ٤، ص ٣٨١. وعزاه إلى أبي يعلي الموصلي و لم أجده عنده.

١٥٤) مختصر أبي داود، مرجع سابق، جزء ١، ص ٤١، وكذلك: رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ١٧٣، مع اختلاف في اللفظ، واللفظ المثبت لأبي داود. وللحديث شاهد في صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص ٩٦,

١٥٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٧٦.

١٥٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، جزء ٧، ص ١٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني.

١٥٧) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٤٦٦.

من تشبه بكهولكم...)) [١٥٨]، أي: التشبه في سيرتهم فإنه يغلب عليهم الوقار والحلم وهما صفتان محمودتان.

وهكذا فالمسن له مكانته في حياة الرسول ﷺ، ولقد اتبع ذلك أصحابه رضي الله عنهم ومن بعدهم، فهذا عمر الفاروق ـــ رضي الله عنه ـــ يتعاهد امرأة عجوزاً في بيتها، فتورد كتب التاريخ أن عمر بن الخطاب ـــ رضي الله ـــ عنه خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة. فقال لها: ((ما بال هذا الرجل الذي يأتيك ؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى...)) [١٥٩].

ولقد تطبع أفراد المجتمع المسلم بذلك الخلق وتوارثوا توقير الكبير واحترامه وتقديره انقياداً لتعاليم دينهم، واتباعاً لسنة رسولهم ﷺ، فكان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - من أشد الناس توقيراً لإخوانه ولمن هو أسن منه، فيروي عنه المروزي أنه جاءه أبو همام راكباً على حماره، فأخذ له الإمام أحمد بالركاب. وقال المروزي: رأيته فعل هذا بمن هو أسن منه من الشيوخ [١٦٠].

وذكر ابن الجوزي عن ابن سعيد الأشج أنه قال: ((حدثنا ابن إدريس، عن ليث، قال: كنت أمشي مع طلحة بن مصرف فقال: لو كنت أسن مني بليلة ما تقدمتك)) [١٦١]، فهذا خلقهم - رحمهم الله - فالأسن مقدم ولو كان الفارق ليلة فكيف بسنة أو سنوات ؟! فذلك من باب أولى، وروى الحسن بن منصور قال: كنت مع يحيى وإسحاق بن راهويه

---

١٥٨) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ١، ص ٥٣٠. وقال المناوي - رحمه الله- على إسناده: وفيه من لا يعرف... لكن تعدد طرقه تجبره. وأدرجه الألباني في ضعيف الجامع، جزء ٣، ص ١٣٨، حديث رقم ٢٩١٠.

١٥٩) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٩٨٧م، ص ٨٦.

١٦٠) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ١، ص ٤٧٠.

١٦١) كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات، ابن الجوزي، تحقيق: مصطفي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، جزء ٣، ص ١٠٥.

يوماً نعود مريضاً فلما حاذينا الباب تأخر إسحاق، وقال ليحيى: تقدم أنت، قال: يا أبا زكريا أنت أكبر مني [١٦٢].

وتتوالى الوصايا من الآباء إلى الأبناء بامتثال ذلك الخلق والحث على التحلي به وعدم التفريط فيه. فهذا البخاري يروي أن قيس بن عاصم السعدي أوصى بنيه حين حضرته الوفاة وصية طويلة جاء فيها: (... وسودوا أكابركم ؛ فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس، وزهدوا فيكم...) [١٦٣]. بل وصل بهم الأمر إلى التشديد في هذه المسألة، حتى بلغ بهم إلى الهجر لمن لا يوقر الكبير، فلقد رأى إبراهيم بن سعد شباباً قد تقدموا على المشايخ فقال: ما أسوأ أدبكم، لا أحدثكم سنة [١٦٤].

ولا شك أن مقتضى التوقير والاحترام للمسنين في المجتمع المسلم والاستفادة من خبرهم وحكمتهم وتجاربهم في الحياة، لذلك قام الإمام أبو حاتم السجستاني (ت٢٣٥هـ)، بتأليف كتاب سماه: (المعمرين من العرب) جمع فيه أخبار أكثر من (١٠٠) معمّر من العرب، أورد على لسانهم بعض الحكم وتجارب الحياة الطويلة التي مرت عليهم، وبعض القصائد والأبيات الشعرية في الحياة الطويلة وما يمر على الإنسان فيها [١٦٥].

ولقد تشرب المجتمع المسلم ذلك الطبع وهذا الاحترام والتوقير لكبار السن، وأصبح سمة من سماته، فلا تكاد تجد كتاب حديث، أو زهد، أو توجيهات، أو نصح إلا ويعقد فيه باب أو أكثر عن توقير الكبير، أو تسويده، أو احترامه، أو إكرامه، بل وضعوا قواعد لذلك، فيقرر ابن عقيل أن من مشى مع إنسان أكبر منه فيمشي عن يمينه يقيمه مقام الإمام في

---

١٦٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٦٩.

١٦٣) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص ٣١٩.

١٦٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٦٩,

١٦٥) كتاب المعمرين من العرب، أبو حاتم السجستاني، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، دار الطلائع، القاهرة، ١٤١٣هـ.

الصلاة، وإن كانوا جماعة فيستحب مشي الجماعة خلف الكبير [١٦٦].

وامتد ذلك التقدير والتقديم لكبار السن حتى في كتابة الأحاديث وترتيب المسانيد حين تأليف الكتب، فها هو بقي بن مخلد - رحمه الله - (ت٢٧٦هـ) يقول: لما وضعت ((مسندي)) جاءني عبيد الله بن يحيى وأخوه إسحاق ؛ فقالا: بلغنا أنك وضعت ((مسنداً)) قدمت فيه أبا مصعب الزهري ويحي بن بكير وأخرت أبانا ؟ فقال: أما تقديمي أبا مصعب ؛ فلقول رسول الله ﷺ: ((قدموا قريشاً ولا تقدموها)) وأما تقديمي ابن بكير ؛ فلقول رسول الله ﷺ: ((كبّر كبّر)) [١٦٧]، يريد السنة ومع أنه سمع ((الموطأ)) من مالك سبع عشرة مرة، وأبوكما لم يسمعه إلا مرة واحدة، قال: ((فخرجا و لم يعودا)) [١٦٨].

إذاً فالمسن في المجتمع المسلم يعيش في كنف أفراده، ويجد له معاملة خاصة تتميز عن الآخرين، و لم تقتصر هذه الرعاية والعناية على المسن المسلم، بل امتدت يد الرعاية لتشمل حتى غير المسلم طالما أنه يعيش بين ظهراني المسلمين.

فها هي كتب التاريخ تسطر بأحرف ساطعة موقف عمر ــ رضي الله عنه ــ مع ذلك الشيخ اليهودي الكبير، فيذكر أبو يوسف في كتابه الخراج ((أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه فقال: من أيّ أهل الكتب أنت ؟ قال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر رضي الله عنه بيده فذهب به إلى منزله، فرضخ له - أي أعطاه - من المنزل بشيء ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ((إنما الصدقات للفقراء والمساكين)) فالفقراء هم المسلمون والمساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن

---

١٦٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ٣، ص ٢٦٦,

١٦٧) أنظر: نص الحديث كاملاً في صفحة (٦٢ ــ ٦٣).

١٦٨) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، جزء ١٣، ص.ص ٢٨٨-٢٨٩,

ضربائه)) [١٦٩].

وهذا خالد بن الوليد من بعد عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ يمارس دوره في رعاية المسنين ويعطيهم حقهم من الرعاية والعناية في المجتمع، حتى وإن لم يكونوا مسلمين، فلقد صالح أهل الحيرة، وجاء في صلحه معهم أنه قال: ((وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت المسلمين...)) [١٧٠].

ومن بعد خالد بن الوليد – رضي الله عنه – يسير عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – في ذلك الركب المبارك ويؤدي دوره الرعوي نحو رعيته فها هو يكتب لعامله عدي بن أرطأة في رسالة طويلة ما نصه: ((... وانظر من قبلك من أهل الذمة من قد كبرت سنة وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه...)) [١٧١]. ولقد قرر أبو يوسف في كتابه (الخراج) أن الجزية لا تخذ من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل، ولا شيء له [١٧٢].

وإضافة لتلك الرعاية الخاصة يمكننا أن نلمس صوراً من الرعاية العامة للمسنين، وذلك حينما تعجز الأسر عن تقديم الرعاية اللازمة للمسن، أو حينما لا يكون هناك ثمة راع أو معين لذلك المسن، فلقد برز في المجتمع المسلم ما يسمى (بالأربطة) وهي أماكن تهيأ وتُعد لسكنى المحتاجين، وأصبح بعضها ملاجئ مستديمة لكبار السن [١٧٣] فالأصل هو رعاية المسن في أسرته فهو قربة لله عز وجل ثم

---

١٦٩) الخراج، أبو يوسف، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، ١٩٨١م، ص ٢٥٩.

١٧٠) الخراج، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

١٧١) الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عماره، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص ١٢١.

١٧٢) الخراج، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

١٧٣) المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، سعيد عاشور، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، جزء ٣، ص ٣٣٩.

الفرع وهو ظهور هذه المؤسسات الاجتماعية مثل: الأربطة، والأوقاف: والدور الاجتماعية، وهي في نبعها جهود شعبية من أفراد المجتمع المسلم، ثم دخلت الدولة في تنظيمها والإشراف عليها.

وفي الوقت الذي كان المسن يجد فيه كل تقدير واحترام ورعاية وتوقير في المجتمع المسلم، وبتوجيه من دينه الحنيف، وتأييد من رسوله العظيم ﷺ نجد أن المسن يعيش في حالة متردية في بعض الحضارات الأخرى. فها هو أفلاطون مثلاً يرى أن ((العناية يجب أن توجه إلى أصحاب الأجسام السوية، والعقول القوية، وأما ما عداهم فيهملون ليكون نصيبهم الموت)) (١٧٤).

ولقد استمد بعض علماء الغرب ومفكريهم في عصرنا الحالي هذا الرأي من أفلاطون. فنرى مستشار الرئيس الفرنسي السابق يقترح في إحدى الدراسات ألاّ يعطى الشيوخ علاجاً طبياً مكثفاً إذا تجاوز سناً معينة من أجل التعجيل بوفاته، وها هي إحدى المستشفيات الدنمركية ترفض استقبال المرضى المسنين لأن إقامتهم في المستشفى قد تطول، ويجب أن تعطى أولوية العلاج للعاملين الذين يسهمون في تمويل صناديق الرعاية بما يدفعونه من ضرائب، فقيمة الإنسان لديهم ليست في ذاته وإنما في قدرته على الإنتاج وطاقته الإنتاجية، فهو عندهم أشبه ما يكون بـ(الآلة) (١٧٥).

لذلك لا عجب أن تجد الدراسات حول سوء معاملة المسنين في الغرب قد تزايدت مؤخراً، بل بدأت تأخذ فصولاً عديدة في القانون الأمريكي، وأصبحت قضاياهم تمثل نسبة مرتفعة من الدعاوى في المحاكم الجزائية، فمع بداية عام ١٩٨٥م قامت عدة ولايات أمريكية بسن القوانين التي تتعلق بسوء معاملة المسنين واعتبرت المسيىء إلى المسنين بالضرب أو منع

---

١٧٤) المعوق والمجتمع في الشريعة الإسلامية، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص,٦٢

١٧٥) أنظر: مجلة المجلة الصادرة برقم ٧٤٨، في ١٢-١٨/٦/١٩٩٤م، ص ,٤٦

الطعام بمثابة المخل بالقانون [١٧٦]، وهذا أدى بدوره إلى تزايد ظاهرة إنشاء مساكن للمسنين في عدد من الدول الغربية لاستنقاذهم من الإهمال الذي قد يجدونه من أسرهم [١٧٧].

وبلغ الأمر إلى أن (مجلس مراكز الرعاية في المملكة المتحدة) تلقى عام ١٩٩٥م (٨٠٥) شكوى عن اعتداءات على المسنين من قبل الممرضات العاملات في مراكز العجزة، وقد أدان المجلس (٩٦) ممرضة بسبب سوء معاملتهن للمسنين، كما وصف المجلس بعض هذه الاعتداءات بأنها إرهابية ومروعة ووحشية، بل وصف التقرير بعض مراكز العجزة في بريطانيا بأنها: (معسكرات يتعرض فيها كبار السن للإرهاب) [١٧٨].

---

١٧٦) الشيخوخة، فادي غندور، الدار العربية للعلوم، ١٤١٠هـ، ص.ص ٦٨-,٧١

١٧٧) أنظر: صحيفة الرياض السعودية، عدد ٩٨٥٨.

١٧٨) دنيا، مالك إبراهيم الأحمد، مطابع طيبة، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ,٣٦

خامساً:

رعاية المسنين في الحروب من قبل الجيوش المسلمة

لم يعرف العالم الحديث آداب الحرب إلا في القرن الماضي، في حين جاء بها الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، و لم تظهر معاهدة رسمية حول آداب الحرب إلا في عام ١٨٥٦م، والتي تسمى (تصريح باريس البحري)، ثم توالت الاتفاقات وأبرزها اتفاقات جنيف التي دوّنت عام ١٩٤٩م والخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب، وحماية الأشخاص المدنيين، ورغم وجود هذه المعاهدة فإنها لا تطبق إلا في حالة قيام الحرب بين دولتين موقعتين على المعاهدة (١٧٩).

أما في الإسلام فكانت هذه الآداب الحربية تطبق ابتداءً، حتى ولو لم يكن هناك أية اتفاقات أو معاهدات، فها هي سرايا رسول الله ﷺ تنطلق يمنة ويسرة ناشرة الخير والنور، ولقد اشتملت وصاياه ﷺ وخلفائه من بعده إلى الجيوش على عدد من التوجيهات والوصايا وشملت جوانب عدة منها: العناية بالشيوخ وكبار السن والاهتمام بهم وعدم قتلهم أو التعرض لهم.

روى الطبراني عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية دعا صاحبهم، فأمره بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا وتغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً...)) الحديث (١٨٠).

ويتضح من نص الحديث أن ذلك كان ديدنه ﷺ في كل غزوة أو

---

١٧٩) فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، جمال محفوظ، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، جزء ٣، ص ٥٣.

١٨٠) المعجم الأوسط، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٥٥.

سرية، و لم تكن محض صدفة أو مقولة يتيمة خرجت من فيّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ فالراوي يقول: (كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا بعث جيشاً أو سرية...) فاللفظ يدل على تكرار ذلك الفعل منه ﴿ﷺ﴾، وروى البيهقي عن خالد بن زيد ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: ((خرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله، فقال: اغزوا باسم الله فقاتلوا عدوّ الله وعدوكم.... ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ضرماً ولا كبيراً فانياً، ولا تقطعن شجرة، ولا تعقرن نخلاً، ولا تهدموا بيتاً)) (١٨١).

و لم يتوقف الأمر على وصية من رسول الله ﴿ﷺ﴾ أو حث على عدم قتل الشيوخ فحسب، بل هدد من قتل شيخاً أنه لن يسلم من تبعة ذلك الفعل، فعن ثوبان ــ رضي الله عنه ــ مولى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أنه سمع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: ((من قتل صغيراً أو كبيراً أو أحرق نخلاً أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهابها لم يرجع كفافاً)) (١٨٢).

ولا يتنافى هذا مع حديث الرسول ﴿ﷺ﴾ الذي يرويه أبو داود عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا أشرافهم)) (١٨٣) وفي لفظ: ((استبقوا شرخهم)) والشرخ: الغلمان الذين لم ينبتوا، فقتل الشيخ من المشركين محمول على أنه إذا كان يقدر على القتال ويقاتل ضد المسلمين أما من كان منهم لا يطيق القتال ولا ينتفع به في رأي فلا يقتل، وعليه يحمل حديث منع القتل وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء (١٨٤).

ولقد اقتدى الخلفاء الراشدون بهدي رسول الله ﴿ﷺ﴾ في عدم التعرض للمسنين في

---

١٨١) السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء ٩، ص ١٥٤,

١٨٢) المسند، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٣٤٧.

١٨٣) المسند، مرجع سابق، جزء ٥، ص ٢٨، وكذلك: مختصر سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء٤، ص ١٣.

١٨٤) أوجز المسالك إلى موطأ مالك، محمد زكريا الكاندهلوي، المكتبة الامدادية، مكة المكرمة، جزء٨، ص ٢٣١,

الحرب، فهذا الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ يوصي أسامة ابن زيد ـــ رضي الله عنه ـــ حين بعثه إلى الشام إنفاذاً لأمر رسول الله ﴿ﷺ﴾ قبل وفاته بوصايا نفيسة هي رجع صدى لما تلقاه من الرسول ﴿ﷺ﴾ وكان مما جاء فيها: ((يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة...)) الحديث (١٨٥).

ولم يتوقف الأمر عند هذه الغزوة أو هذا الجيش فحسب، بل تكرر ذلك منه رضي الله عنه. فيروي مالك في الموطأ أن أبا بكر الصديق بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان وكان أمير ربع من تلك الرباع... ثم قال:... وإني موصيك بعشر: لا تقتل امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً... (١٨٦).

وعلى الدرب نفسه سار عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ فلقد أوصى قادة جيشه وكان مما قاله: ((.. لا تقتلوا هرماً، ولا امرأة، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند حمة النهضات، وفي شن الغارات..)) (١٨٧).

ولا عجب أن تتوالى هذه الوصايا بالمسنين والحث على رعاية الشيوخ والتأكيد على قادة الجيوش بالحرص على ذلك الأمر من الرسول ﴿ﷺ﴾ ثم الخلفاء الراشدين من بعده، فالمصدر واحد والمشرب من نبع صاف هو الإسلام ذلك الدين العظيم.

---

١٨٥) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، جزء ٣، ص ٢٢٦. وكذلك: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ، جزء ٢، ص ٢٢٧.

١٨٦) موطأ الإمام مالك، مرجع سابق، ص ٢٩٧. وكذلك: السنن الكبرى، مرجع سابق، جزء ٩، ص ١٥٢. وكذلك: فتوح الشام، الواقدي، الناشر: عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، جزء١، ص ٤.

١٨٧) خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووصاياه، محمد أحمد عاشور، دار الإعتصام، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٢٢.

سادساً:

بعض الأحكام الفقهية الخاصة بالمسنين

امتازت شريعة الإسلام باليسر والتخفيف على أتباعها. قال تعالى في محكم كتابه: {... يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ... } [البقرة: ١٨٥]، ومن المعلوم أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولئن كان هذا لعموم المسلمين فهو لكبار السن والضعفاء بشكل أخص، انطلاقاً من القاعدة الفقهية (المشقة تجلب التيسر)، ومن هنا نجد الإسلام قد راعى في أحكامه الضعف الذي يعيشه كبير السن، ورتب على ذلك أحكاماً خاصة بهم تتصف باليسر والتجاوز مراعاة لحالتهم الصحية والبدنية، فنجد في بعض العبادات لهم معاملة وأحكاماً خاصة وفيما يلي عرض لها بشكل موجز:

أ- الترخيص لكبير السن في إنابة من يحج عنه لكبر سنه وعجزه عن ذلك، أخرج البخاري ــ رحمه الله ــ عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: ((جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فهل يقضي عنه أن أحج عنه ؟ قال: نعم)) [١٨٨] فهذه الرخصة خاصة بكبير السن دون الصغير.

ب- الرخصة لكبير السن بالإفطار في شهر رمضان حين عجزه، والإطعام عن كل يوم مسكيناً آخذاً من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَتَقُونَ ۞ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ

---

١٨٨) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٦٥٧، وكذلك: صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٤، ص ١٠١، واللفظ للبخاري.

مِنْكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة الآية ١٨٣-١٨٤]. وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية: أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف، فرخص له أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً (١٨٩). وأخرج البخاري ـــ رحمه الله ـــ في صحيحه أن الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام يفطر ويطعم. فقد أفطر أنس ـــ رضي الله عنه ـــ بعد ما كبر عاماً وعامين وأطعم عن كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً (١٩٠).

ج- أمر النبي ﴿ﷺ﴾ الأئمة الذين يصلون بالناس بالتخفيف في صلاتهم مراعاة لمن خلفهم من الضعفاء وكبار السن. فعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ((إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)) (١٩١).

كما أن الأكبر سناً مقدم في الإمامة في الصلاة إذا تساووا في قراءة القرآن. فعن مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﴿ﷺ﴾ أنا وصاحب لي، فلما أردنا الإقفال من عنده قال لنا: ((إذا حضرت الصلاة فأذنا، ثم أقيما، وليؤمكما أكبركما))، وفي رواية أخرى ذكر الراوي أنهما كانا متقاربين في القراءة (١٩٢).

د- الرخصة لكبير السن في القبلة والمباشرة وهو صائم فلا حرج عليه فيها،

---

١٨٩) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، جزء ١، ص ٢١٥.

١٩٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٤، ص ,١٦٣٨

١٩١) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص ٢٤٨، وكذلك: صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٤٣.

١٩٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص ٢٨٢، وكذلك: صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٢، ص ١٣٤، واللفظ لمسلم.

بخلاف الشاب الذي يُمنع من ذلك فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا عند النبي ﴿ﷺ﴾ فجاء شاب فقال: يا رسول الله أُقبل وأنا صائم، قال: لا، فجاء شيخ فقال: أُقبل وأنا صائم قال: نعم قال: فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ((قد علمت لِمَ نظر بعضكم إلى بعض ؟ إن الشيخ يملك نفسه)) (١٩٣)، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً سأل النبي ﴿ﷺ﴾ عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فسأله فنهاه فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب(١٩٤).وفي الموطأ أن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ سئل عن القبلة للصائم فأرخص فيها للشيخ وكرهها للشاب(١٩٥).

هـ - الإذن للمرأة كبيرة السن في ترك الحجاب الشرعي الذي تؤمر به صغيرة السن الشابة قال تعالى: { والقواعد من النساء اللآتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم } [النور: ٦٠] قال المفسرون عند هذه الآية: إن الله رخص للمرأة الكبيرة أن تضع ثيابها عنها، والمراد هنا ما كان على ظاهر البدن لا الثياب التي على العورة الخاصة، فأباح

---

١٩٣) المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٤٦. وقال الترمذي: اختلف أهل العلم من أصحاب النبي □ وغيرهم في القبلة للصائم فرخص بعض أصحاب النبي □ في= = القبلة للشيخ و لم يرخصوا للشاب، مخافة أن لا يسلم له صومه والمباشرة عندهم أشد وقد قال بعض أهل العلم: القبلة تنقص الأجر ولا تفطر الصائم، ورأوا أن للصائم إذا ملك نفسه أن يقبل وإذا لم يأمن على نفسه ترك القبلة ليسلم له صومه، وهو قول سفيان والشافعي، انظر: عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٣، ص ,٢٥٩

١٩٤) سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء ١، ص ,٧٢٦

١٩٥) موطأ الإمام مالك، مرجع سابق، ص ,١٩٩

الله لهن ما لم يبح لغيرهن [١٩٦].

و- ذكر بعض الأئمة أن جلسة الاستراحة في الصلاة ــ وهي الجلسة التي تكون بعد الفراغ من السجدة الثانية ؛ وقبل النهوض إلى الركعة الثانية والرابعة ــ، ذكروا أنها خاصة بمن كبر سنه وهذا قول أبي حنيفة ومالك ــ رحمهم الله ــ، وأحمد في أحد روايتيه [١٩٧]، فهذا حكم خاص بكبار السن مراعاة لضعفهم وتخفيفاً عليهم، وذلك بعدم القيام مباشرة للركعة بل يأخذ حقه من الراحة ثم يقف ليتابع الإمام، ولقد ثبت أن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يفعلها بعد أن بدن جسمه وكبر سنه [١٩٨] فعند البخاري ــ رحمه الله ــ أن مالك بن الحويرث الليثي رضي الله عنه قال: أنه رأى النبي ﴿ﷺ﴾ يصلي، فإذا كان في وتر من صلاته، لم ينهض حتى يستوي قاعداً [١٩٩]، وكذلك فعل مالك بن الحويرث ــ رضي الله عنه ــ عندما صلى بأصحابه ليريهم صلاة النبي ﴿ﷺ﴾، وكان يجلس إذا رفع رأسه من السجود، قبل أن ينهض في الركعة الأولى [٢٠٠].

---

١٩٦) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٤، ص ٥٢,

١٩٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميه، مرجع سابق، الجزء ٢٢، ص ٤٥١، واختلف العلماء في كونها واجبة أو مسنونة أو مشروعة عند الحاجة، أنظر في ذلك: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، جزء ٢، ص ٣٠١,

١٩٨) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، دار أولي النهي، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء ١، ص ٥٧٧,

١٩٩) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٨٣.

٢٠٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٤٠.

المراجع

(١) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان، مرعي المقدسي الكرمي الحنبلي، تحقيق: مشهور حسن محمود سليمان، دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

(٣) أوجز المسالك إلى موطأ مالك، محمد زكريا الكاندهلوي، المكتبة الامدادية، مكة المكرمة.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح الحنبلي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٩٧٧م.

(٥) الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٦) الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عماره، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ.

(٧) البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

(٨) التربية والشيخوخة، دراسة للأبعاد التربوية لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، حسن إبراهيم عبدا لعال، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، العدد ٤٨، ١٤١٤هـ.

(٩) الترغيب والترهيب، المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

(١٠) التوافق عند المسنين، هالة العمران، في: (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ١٩٩٢م.

(١١) التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، بدون تاريخ.

(١٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة.
(١٣) الخراج، أبو يوسف، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، ١٩٨١م.
(١٤) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
(١٥) السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.
(١٦) الشيخوخة، عزت إسماعيل، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٣م.
(١٧) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
(١٨) المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، سعيد عاشور، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
(١٩) المتقاعدون: بعض مشكلاتهم ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، عبد العزيز الغريب، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، ١٤١٦هـ.
(٢٠) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
(٢١) المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سليم سماره وزملاءه، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ.
(٢٢) المشاكل التي يعاني منها المسنون في المملكة العربية السعودية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، ثريا عبدالرؤوف جبريل، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، يونيو ١٩٩٢م.
(٢٣) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
(٢٤) المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ.
(٢٥) المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ.
(٢٦) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٤١٠هـ.
(٢٧) المنجد، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٥م.

(٢٨) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ.

(٢٩) برامج رعاية المسنّين ودور الخدمة الاجتماعية فيها، أسماء الخميس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤٠٩هـ.

(٣٠) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن سعدي، مركز صالح الثقافي، عنيزه، ١٤١٢هـ.

(٣١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

(٣٢) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٩٨٧م.

(٣٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الباز، مكة المكرمة.

(٣٤) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عقيل المقطري، مكتبة دار القدس، صنعاء، ١٤١١هـ.

(٣٥) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ابن الجوزي، تحقيق: عرفه حلمي، دار الحديث، القاهرة.

(٣٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق.

(٣٧) جامع الأحاديث القدسية، أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي، ١٩٩١م.

(٣٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

(٣٩) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٤٠) جمع جهود الحفاظ النقلة بتواتر روايات زيادة العمر بالبر والصلة، لطفي بن محمد الصغيّر، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨ هـ.

(٤١) خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووصاياه، محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤٢) دور طريقة تنظيم المجتمع في إشباع الاحتياجات الاجتماعية للمسنين، مني شويكة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الخدمة الاجتماعية، الرياض، ١٤٠٤هـ.

(٤٣) رسالة فيما يزيد الأعمار ويردّ القضاء، أحمد المفتي بغلبة، تحقيق: عامر الزيباري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ.

(٤٤) رعاية المسنين اجتماعياً، محمد فهمي، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

(٤٥) رياض الصالحين، النووي، تحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق، دار الوراق، الرياض، ١٤١٦هـ.

(٤٦) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٤٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٣هـ.

(٤٨) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٤٩) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد عرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

(٥٠) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار أولي النهي، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٥١) شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٥٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى البُغا، دار القلم، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٥٣) صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٥٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الباز، مكة المكرمة المكرمة، بدون تاريخ.

(٥٥) صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت.

(٥٦) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق علي الطنطاوي،دار الفكر،دمشق ١٣٩٩هـ.

(٥٧) طب الشيخوخة والمريض المسن، ستيفن وشرودر، ترجمة ماجد العطار، دار القلم العربي، سوريا، ١٤١٣هـ.

(٥٨) عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
(٥٩) فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، بدون تاريخ.
(٦٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
(٦١) فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
(٦٢) فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، جمال محفوظ، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
(٦٣) قضايا الشيخوخة، خالد الطحان، في (التقدم في السن - دراسة اجتماعية نفسية -)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ.
(٦٤) كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات، ابن الجوزي، تحقيق: مصطفي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.
(٦٥) كتاب العمر والشيب، ابن أبي الدنيا،تحقيق: نجم خلف،مكتبة الرشد، ١٤١٢ هـ.
(٦٦) كتاب المعمرين من العرب، أبو حاتم السجستاني، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، دار الطلائع، القاهرة، ١٤١٣هـ.
(٦٧) كتاب فردوس الأخبار، الديلمي، تحقيق: فواز الزمرلي ومحمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
(٦٨) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
(٦٩) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
(٧٠) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد العاشر، السنة الثالثة، محرم ١٤١٢هـ.
(٧١) مجلة الفيصل، عدد ٢٤٣، رمضان ١٤١٧هـ، ص ٤٢.
(٧٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت.
(٧٣) مختصر المقاصد الحسنة، الزرقاني، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت.
(٧٤) مختصر زوائد مسند البزار، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري بن عبد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٧٥) مختصر سنن أبي داود، الحافظ المنذري، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(٧٦) مسند أبي يعلي الموصلي، أحمد بن علي التميمي، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، بيروت.

(٧٧) مشكلات التقدم في السن، كمال أغا، في (التقدم في السن - دراسة اجتماعية نفسية)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ.

(٧٨) موطأ الإمام مالك، إعداد أحمد عرموش، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ.

(٧٩) نحو برامج مواجهة للعمل الاجتماعي مع المسنّين، جنان العمري، في (دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي) مكتب المتابعة، البحرين، ١٩٨٥م.

(٨٠) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.